الموضوعات الطبية

في

القرآن الكريم

تأليف

الدكتور محمد جميل الحبَّال

المحتوى

تقديم

د. أحمد محمد كنعان[١]

إنَّ الحَمْدَ لله، عالمِ الغيب والشهادة، الذي ختم الرسالات السماوية بكتاب كريم لا يأتيه الباطل مَن بين يديه ولا من خلفه، وجعله حجة على العالمين بما حواه من حقائق علمية باهرة ما زلنا إلى اليوم، وسنبقى حتى آخر الدهر، نكتشف من كنوزها ما يأخذ بالألباب.

والصَّلاة والسَّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله، صاحب الرِّسالة الخاتمة، الذي أدَّبه ربه، وأفاض عليه من كنوز علمه، ما جعل سيرته العطرة خير هداية لكل من أراد أن يسير في طريق العلم.

أما بعد.. فإن القرآن الكريم يدعونا مراراً وتكراراً إلى التفكُّر بطبيعة هذا الوجود، لأن ذلك من دواعي الإيمان بخالق هذا الوجود، واستشعار قُدْرَته وسَعَة علمه، وقد أجمع أهل العلم على أن هذا الكتاب الكريم معجز في كل شيء؛ في نظمه، وبلاغته، وتشريعاته، وفي ما أخبر عنه من أخبار الأولين والآخرين، وفي ما بيَّنه من حقائق هذا الوجود، فسبق بذلك العلماء الذين لم يعرفوا هذه الحقائق إلا منذ زمن قريب، بعد أن توافرت لديهم وسائل الرصد الدقيق والأجهزة المعقدة الحساسة، وهذا ما نبه بعض العلماء في عصرنا الراهن إلى ظاهرة (**الإعجاز العلمي في القرآن**) التي ذاع صيتها في العالمين، وكانت لها أصداء واسعة هنا وهناك، وكانت سبباً في اعتناق

(١) طبيب وباحث في الإعجاز العلمي والفقه الطبي.

الإسلام من قبل كثير من العلماء والباحثين الكبار الذين كان بعضهم في قمة الكفر والإلحاد!

والإعجاز العلمي في القرآن يعني إخبار القرآن ببعض الحقائق العلمية التي أثبتها العلم التجريبي حديثاً، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٣٨/ ٨٧-٨٨]؛ أي لتعلمنَّ صدق ما أخبركم به هذا القرآن حيناً بعد حين، كلما كشف لكم العلم حقيقة من حقائق الكون. وفي هذا دليل متجدِّد يشهد على صدق ما جاء في القرآن الكريم من حقائق علمية، وفيه أيضاً دليل على أن هذه السمة المعجزة في القرآن الكريم سوف تلازمه على مرِّ العصور، مهما تقدم العلم، ومهما كشف من أسرار هذا الوجود.. وما أكثرها.. وما أعظمها!

وقد ساهمت نخبة من العلماء المعاصرين في إثراء موضوع الإعجاز العلمي في القرآن، وعُقدت من أجله المؤتمرات الدولية والندوات والمحاضرات، ونُشرت حوله بحوثاً مستفيضة تبين جوانب الإعجاز العلمي في ما أورده القرآن الكريم من أخبار عن ظواهر الكون، وحقائق الوجود، وكان من أبرز من كتب في هذا الضرب من الإعجاز في القرن الماضي محمد فريد وجدي، وعبد الرزاق نوفل، وآخرون.

وقد تضاربت مواقف الدارسين بشأن الإعجاز العلمي في القرآن؛ فعارضه بعضهم بحجة أن القرآن الكريم كتاب هداية، وليس كتاب جغرافيا وجيولوجيا وعلوم إلخ.. وبحجة خطورة ربط حقائق القرآن الكريم الثابتة المطلقة بالنظريات العلمية المتغيرة النسبية، مما قد يشكك المؤمنين بهذا الكتاب العظيم، ويعطي الحجة للملحدين وأعداء الدين الذين ينكرون أن القرآن الكريم كتاب منزل من رب العالمين.. ولهذا يجب أن يكون الربط بين آيات القرآن الكريم وبين الحقائق العلمية الثابتة، التي اتفق العلماء المتخصصون على صحتها، وأن نحذر كل الحذر من الاعتماد على النظريات والفرضيات مما لم تثبت صحته بعد.

ولا بد من الانتباه كذلك إلى طبيعة النص القرآني الذي وصفه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بأنه (حمّال أوجه)؛ أي يحتمل معاني عديدة، وتأويلات مختلفة، ولا سيما الآيات التي تتحدث عن الظواهر الكونية. ولأن خالق هذا الكون هو سبحانه منزل القرآن، فإننا لا يمكن أبداً أن نجد تعارضاً بين ما جاء في القرآن وبين ما توصل إليه علماء الكونيات من حقائق ثابتة، وقد اتفق أهل العلم على أنه إذا حدث تعارض بين ما جاء في القرآن وبين ما يقول به العلماء فإن هذا التعارض يعني أحد أمرين: إما أن ما يقول به العلماء غير صحيح، فهو ليس علماً، وإما أن تأويلنا البشري لما جاء في القرآن غير صحيح؛ وهذا ما يستدعي منا التريث طويلاً، والتأمل العميق، قبل الربط بين آي القرآن الكريم وبين ما يقول به العلم.

وخلاصة القول: إن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم يمثل جانباً مهماً من جوانب الإعجاز في هذا الكتاب العظيم، لأن الحديث عما جاء في القرآن الكريم من مسائل الإعجاز العلمي يعد وسيلة فعالة في الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ، وفي إثبات صدق القرآن الكريم، وأنه وحي من الله، كما جاء في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣/٤١]. كما أن البحث في مجال الإعجاز العلمي يمكن أن يقود إلى كشوف علمية جديدة، وهذا ما ندعو الباحثين المسلمين اليوم إلى التركيز عليه، لأنه يؤكد حقيقة الإعجاز العلمي في القرآن، ويضيف إلى سجل العلم الإسلامي إنجازات جديدة تنفع البلاد والعباد. ونعتقد أن كتاب (**الموضوعات الطبية في القرآن الكريم**) الذي بين أيدينا للأخ **الدكتور محمد جميل الحبال** يشكل إضافة غنية في هذا السبيل، يضاف إلى مكتبة الإعجاز العلمي التي أصبحت بفضل الله تعالى، ثم بجهود الباحثين المخلصين، غنية بكنوز من البحوث الجادة التي حسمت قضية الإعجاز العلمي في القرآن، وجعلتها حقيقة لا ريب فيها، وفتحت أبواباً واسعة جديدة للبحث العلمي تنطلق من القرآن الكريم.

وتمتاز مؤلفات د.حبال بمنهجية علمية دقيقة نحن في أمس الحاجة إليها، وبخاصة عندما يتعلق الأمر بكتاب الله الكريم، ولهذا فقد حرص د.حبال على

توثيق بحثه بالمصادر العلمية الموثوقة، وزوده بالعديد من الصور العلمية التي تساعد القارئ غير المتخصص على استيعاب الموضوع، وفهم أوجه الإعجاز فيما يعرضه من حقائق، فجاء كتابه هذا في غاية الإتقان، جزاه الله خيراً.

ولا يفوتني في هذه العجالة أن أقول: إنني عرفت الدكتور حبال معرفة شخصية، وعرفته من خلال المؤتمرات والندوات والمجالس العلمية العديدة التي جمعتنا، فوجدت فيه مثالاً يحتذى في البحث العلمي الجاد، وهو - إلى جانب أخلاقه الرفيعة - يتمتع بروح نهمة في البحث والمعرفة، ويمتاز بمنهجية علمية راقية عز مثيلها، مما ساعده ـ بفضل الله تعالى ـ على تحقيق إنجازات علمية متميزة، ومؤلفات عديدة شهد لها القريب والبعيد، وإننا لنسأل المولى عزَّ وجلَّ أن يتقبل منه هذا العمل الطيب، وأن يجزيه عنا خير الجزاء، والله تعالى ولي التوفيق.

د.أحمد محمد كنعان

الدمام / ١٣/٣/٢٠٠٩

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد سبق - وبتوفيق من الله عز وجل - أن أصدرنا كتابنا الأول: (الموضوعات الطبية في القرآن الكريم - منهاج لتفسير الإشارات العلمية في القرآن الكريم) وبالتعاون مع الأخ الدكتور وميض بن رمزي العمري، وتم نشر الكتاب عن دار الأرقم بالموصل / العراق عام ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، وقد أعيد طباعته ونشره عدة مرات عن دارالنفائس في بيروت بعنوان (الطب في القرآن). وقد قمنا فيه بتفسير مجموعة من الآيات القرآنية ذات المدلولات الطبية، ووضعنا منهاجاً لاستنباط المعارف العلمية والطبية من الآيات القرآنية. وفي أواخر الكتاب أدرجنا جداول إحصائية عن الآيات ذات الإشارات الطبية، ورتبناها حسب موضوعاتها؛ كالطب النفسي (الفسلجة)، والتشريح، وطب الولادة والنساء والأطفال، والجراحة، وغيرها، لتكون جاهزة أمام الباحثين الآخرين، وحسب اختصاصاتهم، للنظر في دراستها وفق معطيات الحقائق العلمية والطبية، وصولاً إلى تعزيز أركان الإيمان ومنفعة البشرية باستنباط ما ينفع المجتمع من هذه الإشارات، ونقل الإعجاز العلمي من دائرة التوصيف إلى

التوظيف، ومن الجانب النظري إلى الجوانب العملية التطبيقية. والذي نعتقده أنه من أهم متطلبات الإعجاز العلمي لتحقيق السبق العلمي في الميادين كافة؛ إذ إن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، يهدي إلى العقيدة الخالصة والعبادات الصحيحة والمعاملات السليمة والأخلاق الفاضلة، وكذلك إلى العلوم كافة بنوعيها الإنساني و التجريبي، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ١٧/ ٩].

وقد وعدنا القراءَ في حينه بمحاولة إصدار أجزاء جديدة من هذا الكتاب (الموضوعات الطبية) كلما سنحت لنا الفرصة، وها نحن أولاء وبتوفيق الله تعالى ومساعدته، نصدر الجزء الثاني منه، من خلال جمع باقة جديدة منها ننشرها على شكل فصول، ويتضمن كل فصل موضوعاً مستقلاً يجد القارئ الكريم عناوينها في الفهرس (المحتوى).

علماً أننا - ومنذ إصدارنا الأول - أصدرنا كتباً ومؤلفات أخرى، منها: (العلوم في القرآن)[1]، و (العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي)[2]، وقد تضمنت موضوعات طبية متعددة، خاصة الكتاب الأخير، ومن أهمها الاستنباطات الطبية من قصة أهل الكهف، وخصوصية عقوبة قوم لوط، وموضوع الرضاعة الوقائية والعلاجية واستعمال الرضاعة من غير الأم (الرضاعة المحرمة) كعلاج، وكذلك مرض جنون البقر وأنماطه البشرية، والحديد في الطب والقرآن، وغيرها.

فالله نسأل أن يوفقنا لإكمال هذه السلسلة في تفسير الموضوعات الطبية من الآيات القرآنية واستنباطها، والتي ناهزت (٣٥٠) آية من مجموع (١٢٠٠) آية ذات مدلولات علمية، تشكل بمجموعها نحو ٢٠٪ من عدد آيات القرآن الكريم الكلية البالغة (٦٢٣٦) آية. فالقرآن كنز للعلوم، ويهدي إلى أبحاث طبية وعلمية جديدة، إذا ما أحسنَّا فهم الآيات وفق معطيات علم التفسير وقواعد اللغة العربية

(١) دار النفائس، بيروت (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م).
(٢) مكتبة دار المنهاج القويم، دمشق (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).

وعلى ضوء الحقائق العلمية، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ٤/ ١٧٤].

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، إنه نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

الدمام في: ٢١/ ١٢/١٤٢٩ هـ

الموافق ١٩/ ١٢/٢٠٠٨م

صفحة بيضاء

رقم 14

الفصل الأول

القرآن وقاء و شفاء

- مدخل
- محاور البحث:
  - ❖ المحور الأول: اتباع المنهج القرآني في الحياة.
  - ❖ المحور الثاني: التعاليم الإسلامية في الوقاية والعلاج من الأمراض.
  - ❖ المحور الثالث: دور القرآن الكريم والرقية الشرعية في الوقاية والعلاج من الأمراض.
  - ❖ المحور الرابع: متى وكيف تحصل الفائدة العلاجية من القرآن الكريم؟ ومن المستفيدون منه؟!
- مناقشة المحاور.
- الأمراض التي تستفيد من العلاج بالقرآن الكريم.
- الخلاصة.

صفحة بيضاء

رقم 16

مدخل

القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد ومنهاج حياة، أنزله الله عز وجل على قلب المصطفى سيدنا محمد ﷺ ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم، ومن الشرك وعبادة الأهواء والأصنام البشرية والحجرية إلى التوحيد الخالص وعبادة الله الواحد القهار، قال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤/١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾ [الإسراء: ١٧/٩]، وهذا النور والهدي القرآني عام لجميع البشر، وشامل لكل مناحي الحياة وفي كل زمان ومكان، هادف لتكوين الإنسان الصالح والمجتمع الفاضل وصولاً إلى تحقيق السعادة لهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٤٢/٥٢].

لذلك فقد أودع الله سبحانه وتعالى كتابه الحكيم من الأركان الإيمانية والشعائر التعبدية والشرائع والأحكام الدنيوية ما يحقق لهم ذلك، كذلك ضمنه التوجيهات الأخلاقية والاجتماعية، والتوصيات الصحية (وقاية وعلاجاً في الجانبين النفسي والعضوي - القلبي والبدني) ما يضمن اتزان الإنسان واستقرار نفسيته، والمحافظة على صحته لتحقيق الهدف المذكور أعلاه، إذ إن الإنسان من دون تمتعه بالصحة والعافية النفسية - (العقلية)، والجسدية (العضوية) لن يستطيع القيام بواجباته الدينية والدنيوية، وبعبادته لله عز وجل وتحقيق إعمار الأرض التي استخلفه الله جلت قدرته فيها، وسخرها له للانتفاع بخيراتها وإقامة

شرعه عليها، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣/٤٥]، فكيف يستطيع الإنسان المؤمن القيام بهذه الواجبات إذا كان مريضاً أو مصاباً بقدراته الذهنية والجسدية؟!

لذلك فإن الوقاية من هذه الأمراض، على اختلاف أنواعها، ومحاولة الحد منها، ومنع انتشارها، ومعالجتها في حالة حصولها، هي من الأمور المطلوبة والواجبة شرعاً وعقلاً، لذلك يقول الإمام الشافعي: (صنفان لا غنى للناس عنهما: العلماء لأديانهم والأطباء لأبدانهم). فإن العلوم الطبية، بأنواعها المختلفة وتخصصاتها المتعددة، أصبحت من الأمور الواجبة للمحافظة على صحة الإنسان وقاية وعلاجاً (وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)، كما تقول القاعدة الأصولية.

محاور البحث

والآن، وبعد أن عرفنا أهمية موضوع الوقاية والعلاج للمحافظة على صحة الإنسان النفسية (القلبية) والعضوية (البدنية)، فما دور القرآن الكريم في ذلك؟

للجواب عن هذا السؤال الهام فإننا سنناقش الموضوع من خلال المحاور التالية:

المحور الأول: اتباع المنهج القرآني في الحياة.

المحور الثاني: التعاليم الإسلامية (القرآن والسنة النبوية) في:

١- الوقاية من الأمراض.

٢- العلاج من الأمراض.

المحور الثالث: دور القرآن الكريم، حفظاً وتلاوة أو سماعاً، ودور الرقية الشرعية في الوقاية والعلاج من الأمراض بأنواعها النفسية والعضوية بالنسبة:

١- إلى الشخص نفسه (ذاتياً).

٢- بالنسبة إلى الآخرين (تلاوة أو استماعاً).

المحور الرابع: متى وكيف تحصل الفائدة العلاجية من القرآن الكريم، ومن المستفيدون منه؟!

■ المحور الأول: اتباع المنهج القرآني في الحياة

إن اتباع المنهج القرآني في أساليب الحياة وأنماطها هو السبيل الناجع للوقاية والعلاج من العلل الاجتماعية والأخلاقية والأمراض النفسية والعضوية، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩/١٧]، إذ إن الله عز وجل عندما خلق الإنسان وجعله خليفته في الأرض، وأنزل له القرآن ليكون له هداية ومنهاجاً، جعل خلقه يتوافق مع تنزيله، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦/٢٥]؛ لذلك فإن اتباع المنهج القرآني وأنماطه في الحياة سيؤدي إلى إصلاح الإنسان والمحافظة على صحته النفسية والعضوية، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣/٢٠].

وإذا نظرنا إلى التعاليم الإسلامية (من آيات قرآنية وأحاديث نبوية) في الحياة، من أوامر ونواهٍ، وواجبات ومستحبات ومكروهات، وفرائض وسنن وغيرها؛ لوجدنا أنها جميعاً تصب في الطب الوقائي، والمحافظة على صحة الفرد والمجتمع، ولو توافرت في بلادنا العربية والإسلامية مراكز أبحاث لدراسة وبيان نسبة حدوث الإصابة بالأمراض النفسية والعضوية، ومقارنتها بالمجتمعات الغربية أو غير الإسلامية، لوجدنا إحصائياً نتائج تدل على قلة حدوثها في بلادنا، على ضعف التزامها بهذه التعاليم. وكلما كان التزام الفرد والمجتمع بهذه التوجيهات القرآنية والنبوية أكبر، تكون نسبة الإصابة بهذه الأمراض أقل، وهذا ما يدركه بوضوح مَن عمل من الأطباء في المجتمعين الإسلامي والغربي، خاصة في حدوث حالات الانتحار[١].

وقد جاء في (إعلان عمان لتعزيز الصحة باتباع أنماط الحياة الإسلامية) لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط، في الندوة التي عقدتها المنظمة في عمان بتاريخ ٢٣-٢٦ حزيران/يونيو ١٩٨٩م، عن أثر التثقيف الصحي من خلال تعاليم الدين الإسلامي في ص٥-٦ ما نصه: «لنمط الحياة الذي يتبعه الإنسان أثر رئيسي على صحته وعافيته. إذ تشتمل أنماط الحياة الإسلامية على كثير من

(١) طارق بن علي الحبيب: العلاج النفسي والعلاج بالقرآن، ص٨٠.

الأساليب الإيجابية المعززة للصحة، وتأبى جميعَ السلوكيات السلبية المنافية للصحة.

الإسلام كما يعرِّفه القرآن هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فالالتزام بأنماط الحياة الإسلامية هو تحقيق لطبيعة الإنسان الأصيلة، وانسجام مع سنن الله في الجسم والنفس، وفي الفرد والمجتمع وفي الإنسان وبيئته».

وقد اشتمل الإعلان على قائمة عملية وتطبيقية رائعة بأنماط الحياة الإسلامية المستخرجة من القرآن والسنة، ذات الأثر في الشخصية الصحية والإنسانية بوجه عام. ودعت الندوة في توصياتها جميع المنظمات الدولية والحكومات، والمنظمات التطوعية وغير الحكومية، إلى العمل على تعزيز الصحة، والوقاية من الأمراض النفسية والعضوية، من خلال تشجيع أنماط الحياة الإسلامية، وإلى تخصيص عقد من الزمن لتعزيز الجهود الرامية إلى تنفيذ خطة تضعها الجهات المعنية لتطبيق أنماط الحياة الإسلامية.

«وتعاليم الإسلام كلها تدفع إلى المحافظة على الصحة والارتقاء بها في كافة المجالات، ليعيش الإنسان حياة سعيدة طيبة في الدنيا والآخرة. وإذا كان الإسلام قد أوجب المحافظة على الضرورات الخمس، فإن ثلاثاً من هذه الضرورات؛ وهي (النفس والنسل والعقل) تتصل بوجوب المحافظة على صحة الإنسان. والطب يحفظ البدن ويدفع عنه غوائل المرض، يقول الإمام الشافعي: صنفان لا غنى للناس عنهما: العلماء لأديانهم والأطباء لأبدانهم»(١).

■ المحور الثاني: التعاليم الإسلامية (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة) في الوقاية والعلاج من الأمراض

إن الصحة نعمة كبيرة على الإنسان، بل هي من أعظم النعم عليه بعد نعمة الإيمان بالله والهداية إلى الطريق المستقيم، قال عليه الصلاة والسلام: «...وَسَلُوا الله الْمُعَافَاةَ فَإِنَّهُ لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْراً مِنْ الْمُعَافَاةِ...»(٢)،

(١) حسان شمسي باشا: الطب النبوي بين العلم والإعجاز، ص١٠-١١.

(٢) رواه ابن ماجه، برقم (٣٨٣٩).

لذلك يحرص القرآن الكريم، وكذلك السنة النبوية المطهرة، على توجيه المسلمين إلى اتباع جميع الأسباب والوسائل المادية والروحية للوقاية والعلاج من الأمراض بأنواعها وصولاً إلى الشفاء وتحقيق دوام الصحة وتعزيزها؛ من خلال استشارة أفضل الأطباء والمتخصصين، واستعمال أفضل الأدوية المباحة (الأسباب المادية)، وكذلك إلى اللجوء إلى دعاء الباري عز وجل للوقاية والشفاء من الأمراض (الأسباب الروحية)، وأفضلها كلام الله عز وجل؛ القرآن الكريم الذي ليس كمثله كلام؛ لأن الله جل جلاله يتصف بالكمال المطلق، والكلام صفة المتكلم، فكان القرآن (كلامه المبارك) يتصف بذلك أيضاً، لذلك يقول المصطفى ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءَيْنِ: الْعَسَلِ وَالْقُرْآنِ»[١]. والعسل أنموذج للأسباب المادية للعلاج، والقرآن أنموذج للأسباب الروحية جميعاً، وهو من أفضلها.

وقد أوصى الرسول ﷺ الأعرابي الذي قدم عليه عندما سأله عن ربط ناقته، أيدعها سائبة متوكلاً على الله أم يحميها قائلاً: يَا رَسُولَ الله، أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: «اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ». فأشار، عليه الصلاة والسلام، إلى أن الاحتراز لا يدفع التوكل.. والحق أن من وثق بالله وأيقن أن قضاءه عليه ماضٍ، لم يقدح في توكله تعاطيه الأسباب لسنته وسنة رسوله[٢].

وقد سئل رسول الله ﷺ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ رُقىً نَسْتَرْقِيهَا وَدَوَاءً نَتَدَاوَى بِهِ وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا؛ هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ الله شَيْئًا؟ قَالَ: «هِيَ مِنْ قَدَرِ الله»[٣].

لذلك، من الأفضل الجمع بين الأسباب المادية (كالدواء)، والروحية (كالرقية الشرعية)، في الوقاية والعلاج من الأمراض جميعاً، وعدم ترك أحدهما اعتماداً على الآخر في حال توافرهما.

(الدواء + الدعاء = الشفاء بعون الله عز وجل).

---

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٤٤٣)، و أخرجه الحاكم وصححه ودققه الذهبي والسيوطي.

(٢) تفسير الطبري، ١/ ٢١١.

(٣) رواه الترمذي برقم (١٩٩١)، وبرقم (٢٠٧٤)، وابن ماجه برقم (٣٤٢٨)، والحاكم في المستدرك برقم (٨٣٣١).

١- الأدلة الشرعية في الوقاية من الأمراض:

أ - أمثلة من القرآن الكريم: قوله تعالى:

- ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٣١].
- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٣٢].
- ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٢٢].
- ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ﴾ [البقرة: ٢/ ١٩٥].
- ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٤/ ٢٩].

ب- أمثلة من الحديث النبوي الشريف: قوله ﷺ:

- «لا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ»[١].
- «لا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي مُسْتَحَمِّهِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ»[٢].
- «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»[٣].
- «لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ»[٤].
- «لا تَغْضَبْ»[٥].
- «فِرَّ مِنْ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ»[٦].
- «وَلا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»[٧].

---

(١) رواه ابن ماجه برقم (٣٣٨).
(٢) رواه أبو داوود برقم (٢٥)، والحاكم في المستدرك برقم (٥٥٣).
(٣) رواه مسلم برقم (٣٢٨).
(٤) رواه ابن ماجه برقم (٢٣٣١)، وبرقم (٢٣٣٢)، وأحمد في المسند برقم (٢٧١٩)، والدارقطني برقم (٣١٢٤).
(٥) رواه البخاري برقم (٥٦٥١).
(٦) رواه البخاري في باب الجذام، وأحمد برقم (٩٣٤٥).
(٧) رواه البخاري برقم (٥٣٢٨)، ومسلم برقم (٤١١٧).

- «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ، فَلا تَدْخُلُوهَا. وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلا تَخْرُجُوا مِنْهَا»[١].

٢- الأدلة الشرعية في العلاج من الأمراض:

أ - أمثلة من القرآن الكريم: قوله تعالى:

- ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٣٨/ ٤٢].
- ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ١٩/ ٢٥].
- ﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٦/ ٦٩].

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾، هي الوحيدة في القرآن الكريم من مجموع أربع آيات ذكرت فيها كلمة ﴿شِفَآءٌ﴾ سنذكرها لاحقاً، التي فيها دليل قاطع على أن ما يخرج من بطون النحل (من عسل وغذاء ملكي وشمع وغيرها) هو دواء، فضلاً عن كونه غذاء، يوصلان إلى الشفاء بإذن الله تعالى إذا استعملت بالطرائق والجرعات المناسبة والعلمية، وفيه الحث على استعمالها كما جاء في الحديث الشريف الذي ذكرناه سابقاً في قوله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءَيْنِ: الْعَسَلِ وَالْقُرْآنِ»[٢].

ب - أمثلة من الحديث الشريف: قوله ﷺ:

- «يَا عِبَادَ الله تَدَاوَوْا فَإِنَّ الله لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ قَالَ: دَوَاءً، إِلا دَاءً وَاحِدًا» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «الْهَرَمُ»[٣].
- «مَا أَنْزَلَ الله دَاءً إِلا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»[٤].
- «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ الله عَزَّ وَجَلَّ»[٥].

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٢١٤)، ومسلم برقم (٤١٠٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٤٤٣).

(٣) رواه الترمذي برقم (١٩٦١).

(٤) رواه البخاري برقم (٥٢٤٦)، وابن ماجه برقم (٣٤٣٠).

(٥) رواه مسلم برقم (٤٠٨٤).

- جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَنَتَدَاوَى؟ قَالَ: «تَدَاوَوْا، فَإِنَّ الله لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ»(١).

«وفي قوله ﷺ: «عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ» حث للأطباء المسلمين على البحث والاستقصاء؛ لاكتشاف أدوية لأمراض لم يعرف لها دواء لحد الآن، وقد ربط النبي الكريم الشفاء بموافقة الدواء للداء؛ فلكل دواء مقدار معين يعمل به، وينبغي ألا يزيد ولا ينقص وتعاليم الإسلام كلها تدفع إلى المحافظة على الصحة والارتقاء بها في كافة المجالات، ليعيش الإنسان حياة سعيدة طيبة في الدنيا والآخرة»(٢).

وقد تداوى رسول الله ﷺ وتداوى آل بيته الكرام، وزوجاته الطاهرات وصحابته العظام رضي الله تعالى عنهم أجمعين، ونصح أمته بكثير من أنواع العلاجات والأغذية التي كانت معروفة في زمانه، والتي ثبتت فوائدها على مر الأيام وبالأبحاث الطبية، حتى إن بعض علماء الحديث أفردوا في كتبهم التي جمعوها من كلامه وسنته عليه الصلاة والسلام أبواباً خاصة باسم (الطب النبوي) أو (كتاب الطب)، منها قوله ﷺ:

- «كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ»(٣).
- «إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ، أَوْ يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ، خَيْرٌ فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ تُوَافِقُ الدَّاءَ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ»(٤).

«في قوله: «توافق الداء» يمنع استعمال الكي إن وجد ما يسد مسده ويغني عنه، وقوله: «وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ» يدل على كراهته له، لا أنه مكروه في ذاته؛

(١) رواه ابن ماجه برقم (٤٠٨٤).
(٢) حسان شمسي باشا: الطب النبوي بين العلم والإعجاز، ص٩-١٠.
(٣) رواه الترمذي برقم (١٧٧٤)، وبرقم (١٧٧٥)، وأحمد في المسند برقم (١٥٤٧٥).
(٤) رواه البخاري برقم (٥٢٥١).

فالكي جائز للضرورة عند عدم وجود البديل؛ بشرط أن يوصي بذلك طبيب مسلم حاذق في الطب»[١].

- «الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ»[٢].
- «مَنْ تَصَبَّحَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةً لَمْ يَضُرَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمٌّ وَلا سِحْرٌ»[٣].
- «عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ فَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلا السَّامَ»[٤].

وقد جاء في شرح هذا الحديث: «وقال الخطابي: قوله هو شفاء من كل داء، هو من العام الذي يراد به الخاص؛ لأنه في منع شيء من النبات ما يجمع جميع الأمور التي تقابل الطبائع في معاجلة الأدواء بمقابلها.. فالعسل عند الأطباء أقرب إلى أن يكون دواء من كل داء من الحبة السوداء، ومع ذلك فإن من الأمراض ما لو شرب صاحبه العسل لتأذى به، فإن كان المراد بقوله تعالى في العسل: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ﴾ الأكثر والأغلب؛ أي لبعضهم، فحمل الحبة السوداء على ذلك أولى»[٥].

ليس هذا فحسب، فإن الرسول المصطفى ﷺ يأمرنا بتحري العلاج المناسب بسؤال المتخصصين، وعدم الإفتاء بغير علم، والذي قد يؤدي إلى الهلاك كما ورد عَنْ عَطَاءٍ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلاً مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ، فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ، فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: «قَتَلُوهُ قَتَلَهُم الله، أَلا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا، فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ»[٦]، وفي ذلك إشارة

---

(١) حسان شمسي باشا: الطب النبوي بين العلم والإعجاز، ص ١٠١-١٠٢.
(٢) رواه البخاري برقم (٤١١٨)، ومسلم برقم (٣٨١٦).
(٣) رواه البخاري برقم (٥٠٢٥).
(٤) رواه البخاري برقم (٥٢٥٥)، ومسلم برقم (٤١٠٤).
(٥) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ١٠/ ١٧٢.
(٦) رواه أحمد في مسنده برقم (٢٨٩٨)، وابن ماجه برقم (٥٦٥)، وأبو داوود برقم (٢٨٤).

واضحة في سنته ﷺ إلى الطب الوقائي والعلاجي، وصولاً إلى المحافظة على النفس البشرية وعدم إهلاكها بالتشدد، وكذلك فيه إشارة إلى اللجوء إلى المتخصصين في كل العلوم، خاصة الأطباء لمعرفة الطريقة المثلى للوقاية والعلاج، وعدم التصدي للإفتاء ووصف الأدوية والعلاجات دون علم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٦/٤٣]، وأهل الذكر هم العلماء المتخصصون، كلٌّ في مجاله العلمي التخصصي.

المحور الثالث: دور القرآن الكريم والرقية الشرعية في الوقاية والعلاج من الأمراض

ذكرنا حكم الشرع والعلم بضرورة الجمع بين الأسباب المادية والروحية (الدواء والدعاء)؛ للوقاية والعلاج من الأمراض بأنواعها (النفسية والعضوية)، وصولاً إلى الشفاء بعون الله تعالى، إذ إن الإنسان هو قبضة من تراب ونفخة من روح، والجسد والنفس (أو الروح) في النهاية متداخلان، والعلاج يتطلب تناولاً في كلا الجانبين، وذكرنا الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة في بيان ذلك، خاصة الجانب المادي (الجسدي). وسنذكر أدناه الأدلة الشرعية لفائدة القرآن الكريم والدعاء المأثور (الرقية الشرعية) وتأثيرهما في الوقاية والعلاج من الأمراض المختلفة. وسنتناول في المحور التالي آلية حصول هذا التأثير وكيفيته من الناحية العلمية والطبية، وفق ما توصلت إليه أحدث الأبحاث في هذا المجال، والله الموفق للصواب.

١- من القرآن الكريم

قوله تعالى:

- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠/٥٧].
- ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ١٧/٨٢].
- ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤١/٤٤].

يقول ابن القيم رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾: «إن (من) هنا لبيان الجنس لا للتبعيض، فإن القرآن كله شفاء»[١]، ويقول أيضاً: «فلم ينزل الله سبحانه وتعالى من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم في إزالة الداء من القرآن، والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله، ويرفعه ويخفضه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن»[٢].

ويقول أيضاً: «فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة وما كل أحد يؤهَّل ولا يوفَّق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبداً، وكيف تقاوم الأدواء كلام رب العالمين الذي لو نزل على الجبال لصدّعها أو على الأرض لقطعها؟! **فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحمية منه، لمن رزقه الله فهماً في كتابه**»[٣].

- ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ٧٠/ ١٩-٢٣].

والمصلون، خاصة الدائمين على صلواتهم، هم من الذاكرين له كثيراً، والذين يتلون القرآن في صلاتهم وخارجها ويستفيدون من ذلك وقاءً ودواءً.

وثمة عدد كبير من الآيات القرآنية التي لها علاقة بالطب النفسي غير التي ذكرناها؛ إذ إن كتاب الله عز وجل قد اهتم بهذا الجانب كثيراً. وقد وجدنا أن عددها يتصدر أعداد الآيات في بقية الموضوعات الطبية والعلمية؛ فقد بلغت - حسب دراساتنا - أكثر من (١٤٠) آية من مجموع عدد الآيات الطبية في القرآن والبالغة نحو (٣٥٠) آية، من أصل أكثر من (١٢٠٠) آية كريمة في مختلف الموضوعات العلمية، علماً أن مجموع عدد آيات القرآن الكريم هو (٦٢٣٦) آية[٤].

---

(١) ابن قيم الجوزية: الداء والدواء، ص١١.

(٢) ابن قيم الجوزية: الداء والدواء، ص٢٤.

(٣) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد، ٤/ ٣٥٢.

(٤) محمد جميل الحبّال: الطب في القرآن، ص ١٠٣. والعلوم في القرآن، ص٦٨.

٢- ومن الحديث النبوي الشريف

- قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ»[١].

- «كان رسول الله ﷺ إِذَا اشْتَكَى الإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا، وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا: بِاسْمِ الله، تُرْبَةُ أَرْضِنَا بِرِيقَةِ بَعْضِنَا لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا»[٢].

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا»[٣].

- وفي الصحيحين أن النبي ﷺ كان يعوذ بعض أهله بيده اليمنى ويقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِب الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي لا شِفَاءَ إِلا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا»[٤].

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّد اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: بِاسْمِ الله أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ الله يَشْفِيكَ، بِاسْمِ الله أَرْقِيكَ[٥].

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ فِي سَرِيَّةٍ، فَنَزَلْنَا بِقَوْم فَسَأَلْنَاهُم الْقِرَى فَلَمْ يَقْرُونَا، فَلُدِغَ سَيِّدُهُمْ فَأَتَوْنَا فَقَالُوا: هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَرْقِي مِنَ الْعَقْرَبِ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا، وَلَكِنْ لا أَرْقِيهِ حَتَّى تُعْطُونَا غَنَماً، قَالَ: فَأَنَا أُعْطِيكُمْ ثَلاثِينَ شَاةً، فَقَبِلْنَا، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَبَرَأَ وَقَبَضْنَا الْغَنَمَ، قَالَ: فَعَرَضَ فِي أَنْفُسِنَا مِنْهَا شَيْءٌ، فَقُلْنَا: لا تَعْجَلُوا حَتَّى تَأْتُوا رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَيْهِ

---

(١) رواه الدارمي، والبيهقي في (الشعب)، وكذا في المشكاة.
(٢) رواه مسلم برقم (٤٠٦٩).
(٣) رواه البخاري برقم (٣٦٢٩)، ومسلم برقم (٤٠٦٦).
(٤) رواه البخاري برقم (٥٣٠٢)، ومسلم برقم (٤٠٦١).
(٥) رواه مسلم برقم (٤٠٥٦).

ذَكَرْتُ لَهُ الَّذِي صَنَعْتُ، قَالَ: «وَمَا عَلِمْتَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، اقْبِضُوا الْغَنَمَ وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ»، وفي رواية مسلم قال ﷺ: «وما يدريك أنها رقية؟ خذوا منهم واضربوا لي بسهم»(١).

ونستدل، مما ذكرناه من الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، على شرعية العلاج بالقرآن والرقية، أو بما ورد عن الرسول المصطفى ﷺ؛ سواء للشخص نفسه أو لغيره (من المسلمين أو غير المسلمين) بشرط اتباع صفة الرقية وأحوالها وفق قواعد الشريعة(٢)، ومن أهم ذلك إخلاص النية لله عز وجل، وحسن التوكل عليه والاعتقاد الجازم بفائدتها.

المحور الرابع: كيف ومتى تحصل الفائدة العلاجية من القرآن الكريم؟ ومن المستفيدون من ذلك؟

ما التفسير العلمي والطبي لتأثير القرآن الكريم والرقية الشرعية من القرآن والدعاء المأثور عن سيدنا رسول الله ﷺ بالنسبة إلى الشخص نفسه أو إلى غيره؟ وما فائدة قراءة القرآن الكريم، وتكراره حفظاً وتلاوة أو سماعاً، في الوقاية والعلاج من الأمراض القلبية (النفسية) والبدنية (العضوية)؟.

إن ذلك يحدث - والله أعلم - بالطرائق الآتية:

١- التأثير في مركز الإيمان في الدماغ:

نشرت مجلة (العلم والحياة) (Science and Life) الفرنسية في عدد آب/ أغسطس **٢٠٠٢** م (ص٣٣-٥٢)، وعدد آب/ أغسطس **٢٠٠٥** م (ص٤٨-٦٨) مقالين تحت عنوان: (لماذا نعتقد بالله، ولماذا لن يغيب الله أبداً؟) يَخلُصان فيهما إلى أنه تبين للباحثين في عمل الدماغ من الوجهة الوظيفية والتشريحية والكيميائية والمعرفية بأنه (أي الدماغ) مبرمج ومخلوق على الإيمان والشعور الديني، فالعمليات الدماغية التي تسيّرها وسائط كيميائية (Neuromediaters)،

---

(١) رواه البخاري برقم (٢١١٥)، ومسلم برقم (٤٠٨٠).

(٢) - لزيادة التفاصيل عن هذا الموضوع (متى تشرع الرقية وصفتها وأحوالها؟)، انظر: د. طارق بن علي الحبيب: العلاج النفسي والعلاج بالقرآن، ص٦٦-٨٦.

ومنها مادة السيروتونين (Serotonine)، لها دور رئيسي عند المحبطين نفسياً من غير المؤمنين والذين لا يمارسون الشعائر الدينية، في حين تزداد عند المؤمنين بالله عز وجل. وتبين أيضاً وجود مناطق في الدماغ منوط بها الشعور الديني.

فكل إنسان يرث دماغاً يدفعه - بحكم خلقته - إلى الإيمان، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠/٣٠]، وقول رسول الله ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[١].

فالباري عز وجل عندما خلق الإنسان أحسن خلقه وتقويمه ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٩٥/٤]، وقدره وهداه، (أي دبره وبرمجه)، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٨٧/٢-٣]، وقال أيضاً: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: ٨٠/١٩]، فقد جعل مراكزه الذهنية والعقلية العليا متناسقة مع كلامه وتنزيله (القرآن الكريم)، فالذي أنزل القرآن هو الذي خلق الإنسان، فجعلهما متوافقين أو متلائمين ومتناغمين يفهم أحدهما الآخر ويؤثر فيه[٢].

لذلك كانت آيات القرآن الكريم تتفاعل مع مراكز الدماغ إيجابياً في حالة سماع الإنسان لها، والسماح لها بالدخول والانسياب عبر القنوات الحسية، خاصة السمع والبصر (Sensory input) وجعلها تسمع بتدبر وفهم ينتج عنه الإدراك والاتباع، وصولاً إلى حالات زيادة الإيمان والشعور بالارتياح والحبور الذي ذكرناه؛ من خلال تنشيط إفراز مادة السيروتونين أو غيرها مما قد يكشفه العلم مستقبلاً.

وفي دراسة أجريت في جامعة (واشنطن) حديثاً على **٤٥٣** طالباً من جميع المذاهب، ظهر أن الذين يمارسون الشعائر الدينية يستطيعون بسهولة السيطرة على الصدمات النفسية وما يتبعها من قلق واكتئاب، خلافاً للذين لا يمارسونها.

---

(١) رواه البخاري برقم (١٢٧٠)، ومسلم برقم (٤٨٠٣).

(٢) لزيادة التفصيل عن هذا الموضوع يرجى مراجعة فصل (المنظومة القرآنية في الكون والإنسان) في كتابنا (العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي)، ص٢٨-٣٢.

وفي دراسة أخرى على ٣٨٨ شخصاً تتراوح أعمارهم بين الستين والمئة سنة تبين أن قلق الموت هو أقل بكثير عند المؤمنين مقارنة بغير المؤمنين، وحتى في حقل الأمراض العضوية فقد تبين في دراسة أجريت على ٦٨ حالة من مرضى الزهايمر (تدهور القوى العقلية/ Alzheimer's Dementia) أن تطور المرض وزيادته عند الممارسين لشعائرهم الدينية هو أبطأ وأقل من غير المؤمنين الذين لا يمارسون الشعائر الدينية(١).

فإذا كان ذلك في الأديان الأخرى فكيف الحال في الدين الإسلامي الذي هو خاتم الأديان، وكتابه (القرآن) هو خاتم الكتب السماوية وأكملها؛ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟ بالتأكيد فإن تأثيره في الناس عامة والمرضى منهم خاصة سيكون أفضل وأنفع وأسرع؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٤٧/٢]، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ١٦/٩٧]؛ لذلك من الملاحظ في المجتمعات العربية والإسلامية، وكذلك من ملاحظاتنا الطبية والسريرية طيلة نحو أربعين عاماً؛ أن الأشخاص الأتقياء والحافظين للقرآن الكريم يُعمِّرون ويتمتعون بصحة نفسية وجسمية جيدة رغم تقدمهم بالعمر، مقارنة بغيرهم من الناس الذين لا يحفظون القرآن أو لا يؤدون الشعائر الدينية، خاصة الصلوات الخمس، من المسلمين أو غيرهم، ونحن بصدد إجراء دراسة سريرية ميدانية موثقة بالفحوصات الشعاعية المتقدمة للدماغ لبيان ذلك بعون الله تعالى. والذي نعتقده - والله أعلم- أن قراءة القرآن حفظاً أو تلاوة تنشط المراكز الذهنية العليا والخلايا الدماغية، وتمنعها من التلف والتآكل، ومن ثم الإصابة بتدهور وظائفها وحصول الخرف، خاصة المبكر منه، الذي أصبح شائعاً في بلاد غير المسلمين، ولا سيما الغربية منها، مثل مرض الزهايمر.

لذلك فإن للقرآن الكريم دوراً وقائياً، فضلاً عن دوره وتأثيره العلاجي لتخفيف هذه الأمراض أو إزالتها في حالة حدوثها. ومن المأثور عن المصطفى ﷺ في أحد أدعيته: «... وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا،

---

(١) المصدر السابق نفسه.

وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا...»[1]، وهذا يحصل باتباع تعاليم القرآن في الحياة، وكذلك في حفظه وتكراره وبركة كلام ربِّ العالمين الذي لا يعلوه كلام.

٢- تقوية الجهاز المناعي:

نظراً لحدوث الطمأنينة في النفوس، عند قراءة القرآن الكريم أو تلاوته أو سماعه وذكر الله عز وجل فيه؛ لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨/١٣]، فقد ثبت علمياً أن هذا التأثير النفسي الإيجابي للقرآن العظيم ينتقل إلى المنظومة العصبية - الهرمونية- المناعية (Neuro-Endcrino-Immunity System) مؤدياً إلى تقوية مقاومة الجسم للأمراض العضوية والسرطانية، ورفعها من خلال إسناد الخطوط المناعية المتعددة في الإنسان وتعزيزها، وصولاً إلى رفع المناعة وكبح أو القضاء على الجراثيم المعدية والخلايا غير الطبيعية التي يكونها الجسم أحياناً، والتي - في حالة ضعف هذه الخلايا والعوامل المناعية - قد تتغلب عليه وتحدث الأمراض والأورام بإذن الله. وقد وجد أن بعض هذه الهورمونات التي تزيد في حالات القلق والتوتر والغضب مثل الكورتيزون والأدرينالين والنورأدرينالين (Cortioson,Adrenaline,NorAdrenaline) وغيرها، والتي لها مفعول سلبي وتثبيطي للجهاز المناعي، هذه الهورمونات يكون مُسيطراً عليها وتفرز بصورة اعتيادية ومتوازنة عند المؤمنين من خلال منظومة (الجهاز العصبي والهرموني والمناعي)؛ لذلك فإن المؤمنين في وقاية من هذه الأمراض على عكس غير المؤمنين الذين يضطرب عندهم عمل هذه المنظومة؛ بسبب القلق النفسي والتوتر والإحباط الذي يعيشون فيه، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤/٢٠]، فيحصل عندهم ضعف في الجهاز المناعي، مما يعرضهم للإصابة بالأمراض العضوية فضلاً عن النفسية التي يصابون بها بصورة أكثر وأشد، مما يسبب لهم الضنك واليأس في حياتهم، فتزيد عندهم نسبة الانتحار كما هو معروف وموثق في الإحصاءات

(١) قَالَ: رواه الترمذي، وهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

والدراسات الطبية؛ ففي فرنسا مثلاً تحصل (٢١) حالة انتحار كل (٤) دقائق، و (١٥٠) ألف حالة محاولة انتحار كل سنة، والنسبة الأعلى هي بين المتقدمين في العمر، حيث يشكل الانتحار السبب الثاني للموت فيها (إحصائيات سنة ٢٠٠٤م).

أما في الصين فإن الانتحار يشكل السبب الأول للوفاة عند الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٠-٣٥ سنة؛ إذ يُقدِم ربع مليون شخص على الانتحار سنوياً، وفي كل عام يحاول ما بين ٢,٥ - ٣,٥ مليون صيني الانتحار، مما يجعل منه السبب الخامس للوفاة في الصين لجميع الأعمار.

على حين أن نسبة الانتحار هي الأدنى في المجتمعات المؤمنة والملتزمة بالشعائر الدينية، وخاصة الإسلامية منها؛ إذ إن التربية الإسلامية في البيت والمجتمع، والتعاليم القرآنية والنبوية، تشكل مانعاً فكرياً عملياً من الانتحار في هذه المجتمعات، وهذا ما لمسناه من خلال تجربتنا المهنية الطبية الممتدة لأربعة عقود.

٣- العلاج بالتناغم الاهتزازي بين القرآن والخلايا الدماغية:

وثمة آلية أخرى في العلاج بالقرآن الكريم، تتمثل في تأثير سماع الآيات القرآنية على الخلايا الدماغية عن طريق الترددات الصوتية وتناسقها بين كلمات القرآن وآياته والخلايا الدماغية، فقد نشر الأستاذ عبد الدايم الكحيل بحثاً بعنوان (العلاج بسماع القرآن) على موقع الشبكة العنكبوتية (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة) خلاصته ما يلي:

في عام ١٨٣٩ اكتشف العالم (هنريك ويليام دوف) أن الدماغ يتأثر إيجاباً وسلباً عند تعرضه لترددات صوتية معينة، إذ وجد أن خلايا الدماغ تتجاوب مع هذه الترددات، ثم تبين للعلماء أن خلايا الدماغ في حالة اهتزاز دائم طيلة حياتها، وتهتز كل خلية بنظام محدد، وتتأثر مع الخلايا التي حولها؛ ففي داخل كل خلية نظام اهتزازي أودعه الله فيها لتقوم بعملها، فالخلايا لا تفقه لغة الكلام، ولكنها تتعامل بالذبذبات والاهتزازات. وإن الأحداث التي يمر بها الإنسان تترك أثرها في خلايا الدماغ، فقد لوحظ أن أي حدث سيِّئ يؤدي إلى

خلل في النظام الاهتزازي للخلايا الدماغية، ويؤكد العلماء حالياً أن كل نوع من أنواع السلوك ينتج عنه ذبذبة معينة للخلايا، وأن تعريض الإنسان لذبذبات صوتية بشكل متكرر يؤدي إلى إحداث تغيير في الطريقة التي تهتز بها الخلايا. فثمة ترددات تجعل خلايا الدماغ تهتز بشكل حيوي وبسيط وإيجابي، وتزيد من الطاقة الإيجابية للخلايا. وثمة ترددات أخرى تجعلها تتأذى، وقد تسبب لها الموت.

لذلك، فإن الترددات الصحيحة المتناغمة مع ترددات الخلايا الدماغية هي التي تشغل بال العلماء اليوم، ويحاولون التوصل إليها ومعرفتها ومعرفة ما يناسب الدماغ من ترددات صوتية.

ويقول العلماء أيضاً، وفق أحدث الاكتشافات: إن أي مرض لا بد أن يحدث تغييراً في برمجة الخلايا، فكل خلية تسير وفق برنامج محدد منذ أن خلقها الله حتى تموت، فإذا حدث خلل نفسي أو فيزيائي (عضوي) فإن هذا الخلل يسبب فوضى في النظام الاهتزازي للخلية، ومن ثم ينشأ عنه خلل في البرنامج الخلوي ووظائفه.

ولعلاج هذا الخلل لا بد من تصحيح هذا البرنامج بأي طريقة ممكنة. ولقد توصل بعض المعالجين بالصوت مثل (آني ويليامز) الأمريكية إلى نتائج مهمة باستعمال صوت الموسيقى للعلاج، وباستخدام الذبذبات الصوتية الموسيقية لإعادة برمجة خلايا الدماغ. وعلى الرغم من توصلها إلى نتائج مشجعة في علاج السرطان وأورام الدماغ وغيرها من الأمراض، لكن هذه النتائج بقيت محدودة إلى الآن بسبب عدم قدرة الموسيقى على إحداث التغيرات المطلوبة في الخلايا.

والآيات والكلمات القرآنية تحمل ما يشبه (البرامج أو البيانات) التي تستطيع التعامل مع الخلايا الدماغية، لأن البارئ عز وجل الذي أنزل القرآن، وهو كلامه، هو الذي خلق الإنسان وقدّره بموجبه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٢٥/٦]، أي إن القرآن الكريم يحمل سر لغة الخلايا ويتعامل معها إيجابياً؛ إذ إن آيات القرآن الكريم تخاطب الجبال وتسيرها، وتقطع الأرض وتمزقها، وتكلم حتى الموتى، وتحدث عندهم التغيرات، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ

ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الرعد: ٣١/١٣] فإنه من الأسهل، ومن باب أولى، أن تتعامل هذه الآيات القرآنية مع الأحياء وتستطيع وقاء المخلوق الضعيف (الإنسان) من المرض وشفاءه منه.

لذلك فإن الله تعالى عندما يخبرنا في آياته **أن القرآن شفاء**، فهذا يعني أن القرآن يحمل البيانات والبرامج الكافية والفعالة لعلاج الخلايا المتضررة في الجسم عامة وفي الدماغ خاصة، ولعلاج الأمراض المستعصية وما عجز الأطباء عن شفائه.

فسماع القرآن أو تلاوته يعيدان التوازن إلى الخلايا ويزيدان من قدرتها على القيام بوظائفها الأساسية بشكل صحيح وممتاز؛ لأن آيات الله القرآنية هي كلام الله الحكيم العليم الذي خلق هذه الخلايا، وجعلها متناسقة ومتناغمة مع كلامه المعجز المبرمج لإصلاحها وإعادة الطمأنينة إليها في حال اختلالها، قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨/١٣].

من المستفيدون في الوقاية والعلاج من الأمراض بالقرآن الكريم؟

المستفيدون من العلاج بالقرآن الكريم هم المؤمنون به (وكذلك من غير المنكرين له، ولو كانوا غير مسلمين)، أما الكافرون والمنافقون والمعاندون فإنهم لا تحصل لديهم الفائدة وقايةً أو علاجاً من قراءة القرآن أو سماعه ضد الأمراض بأنواعها النفسية والعضوية؛ لأنهم أساساً غير معترفين به ولا يؤمنون بما جاء فيه، وربما يحاربونه ويحاربون أولياء القرآن، وقد عطّلوا حواسهم عن قبوله، ووضعوا حاجزاً وحجاباً بينهم وبين سماعه، فضلاً عن الإيمان به واتباعه، كما قال الله في حقهم:

- ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ١٨/٥٦-٥٧].

- ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: ٤١/ ٥].

- ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: ٢/ ٧].

- ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٦/ ٢٥].

وغيرها من الآيات الكريمات في هذا السياق التي تدل على إعراضهم وإنكارهم وعدم استعدادهم لسماع القرآن الكريم أو قبوله أو فهمه، فنتج عن ذلك أن الله عز وجل ختم على حواسهم جميعاً، خاصة مناطق الإدراك في مقدمة الفص الأمامي للدماغ، وجعل بينهم وبين القرآن حجاب لا يفهمونه ولا يستفيدون منه، بل إنه سيكون وبالاً عليهم وخسارة لهم في الدنيا والآخرة. والمؤمنون والمعترفون بالقرآن وحدهم هم المستفيدون في قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٨٢]؛ إذ إن الكافرين والظالمين، وكذلك المنافقون، بأهوائهم وقراراتهم وإراداتهم الخاطئة عطلوا المراكز العقلية والدماغية الذهنية العليا المسؤولة عن الإيمان والفهم للحقائق التي خلقها الله لهم ليعيشوا سعداء في الدارين، وفضلهم على المخلوقات كافة بهذه المراكز والمدارك، ولكنهم عطلوها ولم يستعملوها لمنفعتهم وفائدتهم، بل استعملوها بانتقائية عجيبة حسب أهوائهم المنحرفة؛ إذ إن الأمور التي تعجبهم ويرضون عنها حسب أهوائهم يفهمونها ويصغون إليها ويعملون بها، وهي من الأمور الشركية المخالفة للتوحيد والإيمان، أما إذا كان الأمر متعلقاً بالتوحيد والإيمان الخالص فتجدهم أعرضوا عنه وأغلقوا منافذ حواسهم تجاهه، كما قال تعالى: ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ٦/ ١١٣]، وكقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ [الزمر: ٣٩/ ٤٥]، فنتج عن ذلك أن أصبحوا كالبهائم والأنعام التي لا تعقل لأنها لا تملك أصلاً مراكز الفهم والإدراك واتخاذ القرار الصحيح

الموجودة عند الإنسان الذي كرمه الله بها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٧٩].

الأمراض التي تستفيد من العلاج بالقرآن الكريم[١]:

والآن، ما الحالات والأمراض التي تستفيد من العلاج بالقرآن الكريم والرقية الشرعية (بالطبع مع الأخذ بالأسباب المادية ومراجعة الأطباء المتخصصين واتباع إرشاداتهم كما ذكرنا وفصلنا سابقاً).

١- الأمراض النفسية والعقلية:

أ - الأمراض النفسية العصبية (Neuroses).

ب - الأمراض الشخصية (Personality Disorders).

ج - الأمراض الذهنية (Psychoses).

ويجب التركيز في حالة الأمراض الذهنية على اهتمام الأهل والمجتمع بالمريض، لأنه يكون بحاجة إلى رعايتهم والعناية به من قبلهم؛ لفقده الإدراك بأنه مريض. وهذا من أحد واجبات الأقرباء قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٥/ ٢].

٢- الأمراض النفسية-الجسمانية (Psychosomatic Diseases)

وقد أصبحت تحتل حيزاً كبيراً من الأمراض في الوقت الحاضر، وتسمى (أمراض العصر).

٣- الأمراض العضوية بأنواعها

من خلال تعزيز جهاز المناعة والتخفيف من حدة المرض والإسراع في الشفاء كما ذكرنا.

---

(١) عدنان الشريف: من علم النفس القرآني، ص١٠٧- ١١٩.

٤- أمراض الحسد والعين والسحر

وقد أفردنا لها باباً خاصاً لأهميتها وثبوت حصولها والإصابة بها من أدلة القرآن والسنة. والاستشفاء بالقرآن الكريم، واتباع منهاجه في الحياة، وقاية وعلاج منها جميعاً، ويمكن الرجوع إلى الأطباء والعلماء المتخصصين في الطب النفسي الذين فصلوا بهذا الموضوع كالأستاذ الدكتور طارق بن علي الحبيب والدكتور عدنان الشريف في كتابيهما (العلاج النفسي والعلاج بالقرآن) و (من علم النفس القرآني) على التوالي.

أما موضوع المس الروحي (وما يسمى التلبس بالجن) فإنه لم يثبت بنظرنا حصوله داخلياً (أي حصول التأثير المرضي من داخل بدن الإنسان بفعل عالم الجن، مع إيماننا بوجوده)، وإنما يحصل خارجياً بتأثير الوسوسة، لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١١٤/ ٥-٦]، وقوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ٧/ ٢٠]، فضلاً عن قوله تعالى على لسان الشيطان: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٧]. قال ابن عباس: «ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم لئلا يحول بينهم وبين رحمة الله»(١).

فلو كان الجان أو الشيطان يستطيع أن يدخل في الإنسان لقال ذلك عن نفسه، لكن الآية المذكورة أعلاه صريحة في عدم مقدرته على حجب رحمة الله من فوق الإنسان، فضلاً عن عدم مقدرته على دخول بدنه، وهذا الموضوع يحتاج إلى تفصيل ومناقشة مشتركة للمتخصصين من العلماء الشرعيين والأطباء النفسيين الأفاضل لتقرير حصوله من عدمه(٢).

وحتى عن تأثير هذه الوساوس فإن المؤمن يكون في وقاية منها بدوامه على ذكر الله وقراءة القرآن والأدعية المأثورة، في حين يحصل تأثيرها على غير

---

(١) تفسير الجلالين، ص ١٨٣.

(٢) ويمكن الرجوع إلى رأي الدكتور طارق بن علي الحبيب في موضوع المس في كتابه المذكور أعلاه، ص١٤١-٢٢١، وبحث الدكتور محمد دودح (الاستشفاء بالقرآن الكريم- دراسة علمية ميدانية). موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (موقع على الإنترنت) www.55a.net

المؤمنين؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١٦/ ٩٩-١٠٠].

وإذا ما حصلت وسوسة للمؤمن فإنه يتخلص منها سريعاً بالاستعاذة بالله عز وجل من وسوسة شياطين الإنس والجن، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٢٠٠-٢٠١]، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الخلاصة

إن القرآن الكريم هو وقاء ودواء وصولاً إلى الشفاء من جميع الأمراض النفسية (القلبية) والعضوية (البدنية)، وبدرجات مختلفة، من خلال:

١- اتباع المنهج القرآني في الحياة والالتزام بتعاليمه.

٢- الأخذ بالأسباب المادية للوقاية والتداوي من الأمراض بأنواعها، والتوكل على الله عز وجل ودعاؤه، خاصة بقراءة القرآن وسماعه، والرقية الشرعية بقواعدها، وصولاً إلى الشفاء (وصفة طبية دنيوية من أهل الاختصاص، ووصفة إيمانية قرآنية من الخالق).

تطرق البحث كذلك إلى بعض ما توصل إليه الطب عن آلية عمل القرآن الكريم في تعزيز الجهاز المناعي في الإنسان المؤمن بما يؤكد فائدته للوقاية ومعالجة العلل وتأخير حصول الشيخوخة، خاصة الخرف، مقارنة بغيرهم من غير المتدينين (مسلمين وغير مسلمين).

وذكر البحث بصورة مختصرة فئات الناس حسب استفادتهم العلاجية من القرآن الكريم:

- المؤمنين الذين يستفيدون من القرآن الكريم وقاية وعلاجاً من الأمراض.
- والكافرين والمعاندين الذين لا يستفيدون منه.

صفحة بيضاء

رقم 40

الفصل الثاني

البعث والنشور في الكتاب المسطور والعلم المنظور

- أساسيات البحث
- المقدمة
- البعث والنشور في الكتاب المسطور.

أولاً: بداية الخلق ودورة الحياة والممات والإحياء.

ثانياً: البعث والنشور.

ثالثاً: أهم الأمثلة التي ذكرها القرآن لتوضيح البعث والنشور.

رابعاً: من معاني (عجب الذنب) في القرآن الكريم.

- البعث والنشور في العلم المنظور.

أولاً: عجب الذنب مركز التخليق وإعادة الترتيب.

ثانياً: من علم الأجنة.

ثالثاً: الورم العصعصي المتعدد الأنسجة (الجنين المشوه).

رابعاً: المنظم الأولي - خلايا عجب الذنب تنتج جنينًا عند زراعتها.

خامساً: عجب الذنب لا يبلى.

سادساً: الاستنساخ دليل على البعث والنشور.

سابعاً: الاكتشاف المذهل (جينات الصندوق) (Homoe Box Genes)

- الخلاصة والاستنباطات.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٣٦/ ٧٨].

أساسيات البحث:

(١) بداية خلق الإنسان - الظلمات الثلاث:

قال تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٣٩/ ٦].

(٢) عجب الذنب.. مركز التخليق وإعادة التركيب:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ بَنِي آدَمَ»، وَفِي حَدِيثِ مُغِيرَةَ: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ**»[(١)].

(٣) عبارة (بَنِي آدَمَ) تكرر ذكرها في القرآن الكريم سبع مرات:

قال تعالى:

١- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٢٦].

٢- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا

(١) رواه البخاري برقم (٤٥٥٤)، ومسلم برقم (٥٢٥٣)، وأبو داوود برقم (٤١١٨)، والنَّسائي برقم (٢٠٥٠)، وابن ماجه برقم (٤٢٥٦)، وأحمد برقم (٧٩٣٤)، ومالك برقم (٥٠٣).

لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٢٧].

٣- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٣١].

٤- ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٞ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٣٥].

٥- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٧٢].

٦- ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلٗا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٧٠].

٧- ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [يس: ٣٦/ ٦٠].

(٤) كلمة (الْبَعْثِ) تكررت في القرآن الكريم ثلاث مرات: مرة واحدة مفردة، ومرتين في آية واحدة بعبارة (يوم البعث).

قال تعالى:

أ- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٖ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٖ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلٗا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٖ شَيْـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجِۭ بَهِيجٖ﴾ [الحج: ٢٢/ ٥].

ب- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠/ ٥٦].

(٥) كلمة (النُّشُور) تكررت في القرآن الكريم مرتين، وكلمة (نشوراً) ثلاث مرات في سورة الفرقان فقط:

قال تعالى:

أ- ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩/٣٥].

ب- ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ٦٧/ ١٥].

ج- ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗ لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٣].

د- ﴿وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ أَفَلَمۡ يَكُونُواْ يَرَوۡنَهَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ نُشُورٗا﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٤٠].

هـ- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٤٧].

(٦) الورم العصعصي المتعدد الأنسجة (Sacrococcygeal teratoma)

إن منشأ العصعص (عجب الذنب) هو ما تبقى من خلايا الشريط الأولي، والورم الذي ينشأ منه يحتوي عادة على خلايا من مختلف الأنسجة (Teratoma)، ويسمى أيضاً بالجنين المشوه! وفي ذلك دليل على قدرة الله في هذا الجزء لتكوين مختلف أنسجة الجسم مستقبلاً وأعضائه لاحتوائه على خلايا جذعية كاملة القدرة: (Pluripotent Stem Cells).

فقد أكد الله عز وجل في القرآن الكريم، والمصطفى ﷺ في الحديث النبوي الشريف، على ركن الإيمان باليوم الآخر، ومنه البعث والنشور يوم القيامة، تأكيداً كثيراً، وذلك بعد التأكيد على ركن الإيمان الأول: الإيمان بالله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له. إذ إن المشركين في جزيرة العرب عند نزول القرآن كانوا لا ينكرون وجود الله عز وجل وأنه خالقهم وخالق السموات والأرض، كما ورد ذلك واضحاً في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ

﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣/ ٨٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٣١/ ٢٥].

ومع اعترافهم بوجوده سبحانه وتعالى، فإنهم كانوا يشركون معه في عبادتهم آلهة أُخرى لتقربهم إليه، كما يزعمون، كما قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣٩/ ٣]. والأمر المهم أن كثيراً من المشركين كانوا لا يؤمنون قطعياً بيوم المعاد ويوم القيامة والبعث والنشور كما جاء ذلك على لسانهم في آيات ثلاثية في القرآن الكريم بقولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾، و ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾، و ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾، وذلك غاية في الشفافية والوضوح في نقل تصوراتهم ومعتقداتهم الخاطئة، ثم بالرد عليها بالحجج القاطعة والبراهين العقلية والعلمية، وبأسلوب غاية في الإعجاز البلاغي والنظمي، كما سنفصله لاحقاً، وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٦/ ٢٩].

٢- ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٣/ ٣٧].

٣- ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٤٥/ ٢٤].

وقوله تعالى:

١- ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الرعد: ١٣/ ٥].

٢- ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ [السجدة: ٣٢/ ١٠].

٣- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٣٤/ ٧].

وقوله تعالى:

١- ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣/ ٨٢].

٢- ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾ [الصافات: ٣٧/ ١٦].

٣- ﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾ [الواقعة: ٥٦/ ٤٧].

لذلك أمر الباري عز وجل ورسوله المصطفى ﷺ بتوضيح هذا الركن الأساس، وتأكيده بآيات كريمة متعددة وبأساليب بلاغية غاية في التصوير الفني الرائع والبياني المؤثر والمقنع، وتوظيف الأدلة والأمثلة الحسية كافة لتوضيح مفهوم البعث والنشور؛ ليس للعرب في وقت نزول القرآن فحسب، وإنما للناس أجمعين وفي كل زمان ومكان. وكذلك أقسم الباري عز وجل على لسان رسوله الكريم بذاته العلية (ونادراً ما يقسم الله بهذه الصيغة في كتابه) على حقيقة البعث والنشور؛ لأهميته وحتمية وقوعه، وذلك في ثلاث آيات كريمات أيضاً، داحضاً ادعاء الكافرين بعدم وقوعه والتصديق به. في الآيات الثلاث المذكورة أعلاه. وذلك في قوله تعالى:

١- ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [يونس: ١٠/ ٥٣].

٢- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٣٤/ ٣].

٣- ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٦٤/ ٧].

وقد ضرب المشركون مثالاً قاصراً ومحدوداً، بزعمهم أنه مادي وعلمي، يحتجون به على عدم وقوع البعث والنشور، ورد على لسانهم في كتاب الله عز وجل، فرد الله عليهم بقوله: ﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يس: ٣٦/ ٧]، وهذا الزعم والمنطق ينطبق على هؤلاء الماديين والكافرين (الدهريين) في كل زمان ومكان، والذي يدل على جهلهم وتكذيبهم بالبعث والنشور اعتماداً

على علمهم القاصر والظاهر دون التدقيق والرجوع إلى العلم الصحيح وسبر أغواره وما توصل إليه من حقائق، كما جاء في قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ١٠/٣٩]، لذلك نجد أن القرآن الكريم يرد عليهم مباشرة ويدحض حجتهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٣٦/٧٩].

وقد ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية ما يأتي: «يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها، أين ذهبت، وأين تفرقت وتمزقت، وقد ورد عن الرسول الكريم ﷺ هذه الحادثة وبألفاظ كثيرة، منها قوله: إِنَّ رَجُلاً حَضَرَهُ الْمَوْتُ، لَمَّا أَيِسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ: إِذَا مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا ثُمَّ أَوْرُوا نَارًا حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِي فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا فَذَرُّونِي فِي الْيَمِّ فِي يَوْمٍ حَارٍّ أَوْ رَاحٍ، فَجَمَعَهُ الله فَقَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: خَشْيَتَكَ، فَغَفَرَ لَهُ»[(١)].

كذلك يضرب لهم القرآن الكريم عدة أمثلة من واقعهم المادي الملموس، وبغاية الوضوح والإثبات؛ لإفهامهم وإقامة الحجة عليهم (كما سنذكره لاحقاً في الأمثلة التي ذكرها القرآن الكريم لتوضيح عقيدة البعث والنشور)، لبيان هذه الحقيقة الجوهرية وتفسيرها، في رده على مثالهم القاصر الذي ضربوه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٥/٣٣]، ونحن في عصر العلم والمعرفة والتكنولوجيا ولغة الأرقام نستطيع أن نوظف هذه الأمور للبرهان والتأكيد على هذه الحقيقة الإيمانية الغيبية والمفصلية التي أقسم الله بحدوثها، وإن كنا نحن المؤمنين نؤمن بها ونسلم لها (سواء توصل إليها العلم بمعرفتها أم لم يتوصل)؛ لأن ذلك من أركان الإيمان الغيبية عندنا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٢/٣]، ولكننا في الوقت نفسه يجب علينا - معاشر الأطباء والعلماء، من جميع التخصصات (الشرعية منها والتجريبية) - أن نوظف معطيات العلم وحقائقه، ما توصل إليه وما سيتوصل إليه مستقبلاً، لبيان هذه الحقيقة وإثباتها، إذ أصبحت العلوم الكونية والتجريبية

(١) رواه البخاري برقم (٣٢٢٠). ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ٣/٧٠٧.

في خدمة العلوم الشرعية، وصولاً إلى تعزيز أركان الإيمان في نفوس المسلمين، وإقامة الحجة على غيرهم، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٦/ ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٤/ ١٧٤]. ومن أهم الإشارات العلمية في بيان هذه الحقيقة وإثباتها ما ورد عن المصطفى ﷺ في أحاديث نبوية عن عجب الذنب، منها الأحاديث الآتية:

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، ثُمَّ يُنْزِلُ الله مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، قَالَ: وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلا يَبْلَى إِلا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُّ بَنِي آدَمَ» وَفِي حَدِيثِ مُغِيرَةَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ **خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ**»(٢).

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الإِنْسَانِ عَظْمًا لا تَأْكُلُهُ الأَرْضُ أَبَداً، فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالُوا: أَيُّ عَظْمٍ هُوَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: عَجْبُ الذَّنَبِ»(٣).

٤- وفي رواية لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ أنه قال: «يَأْكُلُ التُّرَابُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الإِنْسَانِ إِلا عَجْبَ ذَنَبِهِ، قِيلَ: وَمِثْلُ مَا هُوَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ، مِنْهُ تَنْبُتُونَ»(٤).

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٥٥٤)، ومسلم برقم (٥٢٥٣)، وأبو داوود برقم (٤١١٨)، والنسائي برقم (٢٠٥٠)، وابن ماجه برقم (٤٢٥٦)، وأحمد برقم (٧٩٣٤)، ومالك، برقم (٥٠٣)، واللفظ لمسلم.

(٢) سبق تخريجه، وهذا لفظ النسائي برقم (٢٠٥٠).

(٣) سبق تخريجه، وهذا لفظ مسلم برقم (٥٢٥٥)، وأحمد برقم (٧٨٣٣).

(٤) سبق تخريجه، وهذا لفظ أحمد برقم (١٠٨٠٠).

والعَجْبُ هو (أصل الذنب ومؤخر كل شيء)[١]، (وحبة الخردل هي أصغر الأشياء وأحقرها)[٢]، «وهذه الأحاديث النبوية الشريفة تحتوي على حقيقة علمية لم تتوصل العلوم المكتسبة إلى معرفتها إلا منذ سنوات قليلة؛ حيث أثبت المتخصصون في علم الأجنة أن جسد الإنسان ينشأ من شريط دقيق للغاية يسمى الشريط الأولي أو الابتدائي (Primary Streak) الذي يتخلق بقدرة الخالق سبحانه وتعالى في اليوم الخامس عشر من تلقيح البويضة، وبعد انغراسها في جدار الرحم، وإثر ظهوره يتشكل عن طريقه الجنين بطبقاته الثلاث التي يتخلق من كل منها أعضاء الجسم؛ وأولها الجهاز العصبي وبدايات تكون العمود الفقري؛ لأن هذا الشريط الدقيق قد أعطاه الله تعالى القدرة على تحفيز الخلايا للانقسام والتمايز والتخصص والتجمع في أنسجة متخصصة وأعضاء متكاملة تتعاون على قيام جميع أعضاء الجسد.

وقد ثبت أن هذا الشريط الأولي يتراجع ويتلاشى تدريجياً (في نهاية الأسبوع الرابع) **حتى يندفن في أصل العصعص في نهاية العمود الفقري؛ حيث يبقى على هيئة جنين كامن (مثل جنين بذرة النبات)، وهو المقصود بعَجْبِ الذَّنَب في أحاديث رسول الله ﷺ**، والله أعلى وأعلم.

وإذا مات الإنسان يبلى جسده كله إلا عجب الذنب الذي تذكر الأحاديث النبوية أن الإنسان يعاد خلقه منه في يوم البعث والنشور بإنزال مطر خاص من السماء، ينزله ربنا تبارك وتعالى وقت يشاء، فينبت كل مخلوق من عجب ذنبه كما تنبت النبتة من بذرتها، كما أخبر بذلك خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ»[٣].

الحقائق المستنتجة من الأحاديث النبوية الصحيحة المذكورة:

١- أن عجب الذنب عنصر أساس، أصله من الشريط الأولي الذي يتخلق ويتكون منه الجنين.

---

(١) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ص١٠٤.

(٢) عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط٤، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٩٠٨.

(٣) زغلول النجار: الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ص ١٠٣- ١٠٤.

٢- أن عجب الذنب، أو قسماً منه لا نعرف مقداره، لا يبلى. ومن هذا القسم أو البذرة (حبة خردل) يركب الخلق يوم القيامة.

وقد جاءت الأبحاث الطبية والعلمية الحديثة وأثبتت صحة ذلك، من خلال علم الأجنة والتجارب التي أجريت على الخيط أو الشريط الأولي (Primary Streak) في الجنين الذي يتكون في بداية الأسبوع الثالث من عمره؛ إذ يتشكل في نهايته الرأسية (العقدة الأولية Primary Node)، ويتم برمجة خلايا الجسم وتميزها من خلاله، ولذلك يسمى أيضاً المنظم الأولي (Primary Organizer)، ويعمل كالبوصلة في توجيه الخلايا، كما سنذكره لاحقاً، ثم يضمحل ويتلاشى تدريجياً - كما ذكرنا - على شكل خلايا جذعية تتركز في نهاية العمود الفقري في العصعص (عجب الذنب). فعجب الذنب أو الخلايا الجذعية التي فيه، مصدرها أصلاً من بقايا الشريط الأولي وعقدته الأولية.

وكذلك إن عجب الذنب أو قسماً منه لا يبلى، ويكون مقاوماً للمؤثرات الخارجية كالسحق والحرارة والغليان (كما سنُفصل ذلك لاحقاً).

فإن ثبوت الاستنتاجين الأول والثاني علمياً يكون دليلاً كافياً للقبول والتصديق بالاستنتاج الثالث (فيه يركب الخلق يوم القيامة)، والذي هو من الأمور الغيبية التي نؤمن بها، والتي هي أحد أركان الإيمان.

فلما تحقق وثبت ما أخبرت عنه الآيات والأحاديث الأخرى في أمور علمية كونية عديدة، كانت من الغيب في زمن الرسالة وأصبحت حقائق العلم تكتشف صحتها الواحدة تلو الأخرى، للتقدم الحاصل فيه وفي وسائله، فقد لزم عقلاً ومنطقاً صحة وثبوت ما أخبرت به من أمور ما زالت في عالم الغيب؛ كالبعث والنشور والحساب والعقاب والجنة والنار، فإذا تحقق الطرف الأول (الجانب المادي) من المعادلة وثبتت صحته، فلا بد أن يكون الطرف الثاني (الجانب الغيبي) صحيحاً أيضاً[١].

وبذلك يتحقق لنا صحة أمر المعاد وينتفي الشك والنكران من البعث

---

(١) محمد جميل الحبال ووميض العمري: الطب في القرآن - تعزيز معاني وأركان الإيمان، ص ٣٠.

والنشور، وننتقل من مرحلة علم اليقين إلى مرحلة عين اليقين وكأننا نشاهده!. إذ قرب القرآن الكريم مفهوم يوم المعاد والبعث والنشور إلى الأذهان بضرب كثير من الأمثلة التوضيحية من واقع المشاهدة وبأساليب تصويرية مختلفة وكأنها مشاهد متحركة تتمثل واقعاً.

وقد وفقنا الله عز وجل لاكتشاف منظومة رقمية رائعة متناسقة مع العددين (٣) و (٧) اللَّذين هما من الأعداد الفردية الأولية لهما علاقة بتكرار عبارات البعث والنشور وإحياء الموتى والآيات المتعلقة بهذا الموضوع في القرآن الكريم بصيغها المختلفة مكررة في معظمها (إن لم يكن في جميعها!) ثلاث مرات أو سبعاً! وذلك في تناسق وتطابق لذكر الله عز وجل عن خلق الإنسان بين كلامه وحقائق علم الأجنة، ابتداءً من المرحلة الجنينية في ظلمات ثلاث، في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الزمر: ٣٩/ ٦]، قال الطبري في تفسير الظلمات الثلاث: «يعني في ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة»، وهو قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك، وورد ذلك أيضاً عن القرطبي والألوسي في تفسيريهما.

ويقول البرفسور كيث مور، وهو من أشهر علماء الأجنة في العالم: «ينتقل الجنين من مرحلة تطور إلى أخرى داخل ثلاثة الأغطية التي قد ذكرت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾: هذه الظلمات هي: ١- جدار البطن، ٢- جدار الرحم، ٣- المشيمة بأغشيتها الكوريونو - أمينيونية Choriono - Amniotic membranes»[1].

ومن معطيات علم الأجنة (المرحلة الثلاثية والسباعية) فإن الطبقات الأساسية والأولية الثلاث لتكوين الأنسجة والأعضاء المختلفة للجسد في بداية تكوين الجنين من خلال الشريط الأولي (Primitive Streak) هي:

- الطبقة الداخلية (الإندودرم) Endoderm.
- الطبقة الوسطى (الميزودرم) Mesoderm.
- الطبقة الخارجية (الإكتودرم) Ectoderm.

---

(١) كيث مور: خلق وتطور الإنسان، ص ٣٠.

وتحدث التغيرات الثلاثية المذكورة أعلاه في المرحلة السابعة لخلق الجنين (stage7)، التي تبدأ من اليوم الخامس عشر إلى اليوم التاسع عشر تقريباً (الأسبوع الثالث) من عمر الجنين وتسمى مرحلة المعيدات (gastrulation)، ويكون الجنين في نهايتها ثلاثياً من أنواع الخلايا (Triplastic). وتسمى هذه المرحلة أيضاً (فترة الثلاثيات) (Period of Threes) حيث تتكون خلالها الطبقات الأساسية الثلاث المذكورة أعلاه، فضلاً عن تكوين ثلاثة تشكيلات أساسية هامة هي الشريط الأولي (Primitive Streak) وعقدته الأولية (Primitive Node) (اللذان من خلالهما يتم تشكيل الطبقات الثلاث المذكورة أعلاه وبرمجتها) وصفحة العمود الفقري (Notochord) (لتكوين الجمجمة والعمود الفقري والقفص الصدري لاحقاً) والأنبوب العصبي (Neural tube) (لتكوين الدماغ والنخاع الشوكي لاحقاً) [(١)].

وهذه التطورات تحدث في مرحلة العلقة، وهي المرحلة الثالثة من مراحل خلق الإنسان السبع المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٣/ ١٢-١٤].

وهذه المراحل السبع هي (سلالة من طين، النطفة، العلقة، المضغة، العظام، الإكساء باللحم، والنشأة)[(٢)]، وأتبعها القرآن الكريم بمرحلة الموت، ثم بمرحلة البعث والنشور، كما ورد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣/ ١٥-١٦].

ووردت في القرآن الكريم عبارة: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ وهو الإنسان الآدمي المعني بالبعث والنشور والإيمان به، والذي جاء ذكره في الحديث النبوي الشريف عن عجب الذنب في قوله ﷺ: «كل بني آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب»، وردت هذه العبارة مكررة سبع مرات في القرآن الكريم! (كما جاء

(١) كيث مور: خلق وتطور الإنسان، ص ٥٤.

(٢) محمد جميل الحبال: العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي - علم الأجنة، ص ٤١ و ص١٢٤.

في أساسيات البحث، الفقرة رقم ٣)، مما يضيف إعجازاً آخر له علاقة بالتناسق العددي والرقمي؛ إذ تمثل هذه المنظومة من الآيات الكريمات المتعلقة بهذا الموضوع وتفاصيله لوحة فنية رائعة ومتناسقة ذات العلاقة بالعددين (٣) و (٧) وبصورة دقيقة ومحكمة، وكأن الباري عز وجل أراد من خلال ذكر هذه الآيات الكريمات في كتابه المعجز أن يضيف لنا (معاشر المسلمين في عصر العلم والتكنولوجيا والأرقام) دليلاً وبرهاناً آخر في مجال الإعجاز العددي له علاقة بخلق الإنسان والبعث والنشور. ويحقق لنا التطابق والتناسق بين القرآن والكون بما فيه الإنسان، فالذي أنزل القرآن هو الذي خلق الكون والإنسان، فالقرآن يقود إلى الكون والكون يقود إلى القرآن، ويفسر أحدهما الآخر(١)!! فضلاً عن الأدلة المذكورة من علم الأجنة وغيرها من المؤشرات العلمية والطبية بخصوص إثبات هذا الركن الإيماني الغيبي (البعث والنشور) التي سنوردها لاحقاً، والله أعلم بمراده.

البعث والنشور في الكتاب المسطور

يقول الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: «اعلم - يا أخي المسلم - أن قيام الساعة، وما يتبعها من أحداث كالبعث والنشور، من أخطر الأخبار الغيبية التي أخبر عنها الخالق جل جلاله على الإطلاق. فمن أجل خطورة هذا الحدث العظيم من هذه النواحي كلها، يظل القرآن يخبر الإنسان عنه وينذره إياه في تأكيد متوال لا ينقطع، ولا تكاد تمر على صحيفة من هذا الكتاب العظيم إلا وتجد فيها حديثاً عن يوم المعاد وتنبيهاً للإنسان إليه. ولن تجد خبراً حفل به كتاب الله تعالى في تأكيد شديد له بشتى الأساليب العربية المختلفة كخبر يوم القيامة، ولن تجد فيه تنبيهاً إلى عظيم وتحذيراً إلى خطير وبتفنن عجيب في النظم والأسلوب كتنبيه الناس إلى يوم القيامة وتحذيرهم فيما سيلاقونه فيه....

(١) محمد جميل الحبال: العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي- التوازن والتطابق بين القرآن والكون، ص١٢١ - ١٣١.

فلا جرم أن هذه الأخبار المنذرة والمنبهة والمحذرة في كتاب الله تعالى هي أعظم دليل وبرهان على قيام الساعة ويوم القيامة، وكلِّ ما يتبع ذلك من أحداث، كإحياء الموتى والحساب...

ولنتأمل طائفة من هذه الآيات بقلب متيقظ وعقل متدبر ولننتبه إلى ما فيها من فنون التأكيد المختلفة بشتى الوجوه والأساليب التي تخاطب في الإنسان وجدانه وعقله ومشاعره» وسنذكر قسماً منها لاحقاً.

ثم يستطرد البوطي قائلاً: «انظر إلى هذه الآية وتأمل في المؤكدات الشديدة التي كأنما غمست الآية فيها غمساً: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٤/٨٧]، وانظر إلى هذه الآيات الأخرى التي سيقت مساق الحجاج والنقاش لتبديد ما يطوف بذهن الإنسان من عوامل الريب والشكوك حول إمكان وقوع هذا الأمر العظيم، ومنه إحياء الموتى والبعث والنشور، بأسلوب معجز يتجلى به سلطان الربوبية وبنفس التأكيد الذي رأيته في الآية السابقة: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ۝٦٦ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ١٩/٦٦-٦٧]، وأحياناً أخرى، يظهر في مكان هذه الأساليب كلها أسلوب آخر هادئ. إنه أسلوب النظر العلمي، ولفت العقل إلى ما ينبغي أن ينتبه إليه من مذاهب التأمل والفكر، في قالب تعليمي، كأنه درس من أستاذ لتلاميذه، وليس إخباراً من إله عظيم لعباده! وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [الحج: ٢٢/٥-٧]، وأما في حالات كثيرة أخرى فإن الحديث عن يوم القيامة وأحداثه يأتي بأسلوب تصويري من شأنه أن يبدد ما بينه وما بين الناس من حجب الغيب ومسافات الزمن. وينقلهم إلى جو هذه الأحداث حتى لكأنهم يشاهدونها بأعينهم، كقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ

﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٦/ ٥١-٥٣].. فهذا دليل ما بعده دليل على قيام الناس بعد موتهم لرب العالمين(١).

وفيما يلي سنذكر أهم الآيات الكريمة التي جاء ذكرها في كتاب الله عز وجل بخصوص البعث والنشور وإحياء الموتى وتكرارها الثلاثي والسباعي فيه.

أولاً: بداية الخلق ودورة الحياة والممات والإحياء

(١) بداية الخلق: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ تكررت في القرآن الكريم ثلاث مرات:

١- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ٤/ ١].

٢- ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٨٩].

٣- ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٣٩/ ٦].

(٢) الحمل والولادة ﴿بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ تكررت في القرآن الكريم ثلاث مرات:

١- ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٦/ ٧٨].

(١) محمد سعيد رمضان البوطي: كبرى اليقينيات الكونية، الأدلة على قيام الساعة، ص ٣٤٠ - ٣٤٤.

٢- ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٣٩/٦].

٣- ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٥٣/٣٢].

(٣) دورة الحياة والممات والإحياء ﴿أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ تكررت في القرآن ثلاث مرات:

١- ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢/٢٨].

٢- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: ٢٢/٦٦].

٣- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٠/٤٠].

وثمة آية قرآنية كريمة تفسر وتجمع المعاني الثلاثة المذكورة (بدء الحياة والموت والبعث والنشور أو الجمع يوم القيامة) بأسلوب بلاغي رائع وشامل لتلك المعاني الثلاثة: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٤٥/٢٦].

فالقرآن الكريم مثانٍ يفسر بعضه بعضاً من خلال الآيات المثاني المتشابهة (أي المتكررة)، فيه، «قال رب الأرض والسماوات مشيراً إلى هذه المتشابهات، في قرآنه الخالد بين الكائنات: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٩/ ٢٣]، وقد جاء في تفسير ابن كثير وغيره في معنى ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾ أن القرآن يشبه بعضه بعضاً وَيَرُدُّ بعضه على بعض، وتثنى وتكرر فيه الأحكام

والمواعظ، قال الضحاك: (مَثَانِيَ) معناها: هو ترديد القول ليفهموا عن ربهم»[1].

ثانياً: البعث والنشور

(١) قَسَمُ الباري عز وجل بنفسه على لسان نبيه بحتمية وقوع البعث والنشور ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ﴾ و ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى﴾ ورد ثلاث مرات في القرآن الكريم:

١- ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ١٠/٥٣].

٢- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣٤/٣].

٣- ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٦٤/٧].

(٢) الأمر بالبعث والنشور بالنفخ الأخير في الصور ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ ورد ثلاث مرات في القرآن الكريم:

١- ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ١٨/٩٩].

٢- ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٣٦/٥١].

٣- ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٣٩/٦٨].

فنفخة الجمع، ونفخة الخروج من الأجداث، ونفخة القيام للحساب هي النفخة الثانية أو الأخيرة التي هي نفخة البعث والنشور والقيام للحساب أمام رب العالمين في انتظار النتائج في ذلك الموقف العصيب.

---

(١) عبد المنعم كامل شعير: دليل الحيران في متشابهات القرآن، ١/١٣.

أما النفخة الأولى، المذكورة في الآيات الأخرى (المؤمنون: ٢٣/ ١٠١، ق: ٥٠/ ٢٠، الحاقة: ٦٩/ ١٣، وبداية الآية ٦٨ من سورة الزمر المذكورة) فهي نفخة الصعق التي يموت بها الخلق، أما النفخة الثانية والأخيرة فهي التي يحيا بها الخلق ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾، وهي المقصودة في هذا الباب.

يقول ابن حجر في تفسير هذه الآية الكريمة: «قوله: «ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق». وفي رواية مسلم: «ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً» الحديث. وأفرد هذا القدر من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة بلفظ: «كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق ومنه يركب». وله من طريق همام عن أبي هريرة قال: «إن للإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً، فيه يركب يوم القيامة. قالوا: أيُّ عظمٍ هو؟ قال: عجبُ الذَّنَب». وفي حديث أبي سعيد عن الحاكم وأبي يعلى: «قيل: يا رسول الله ما عجب الذنبِ؟ قال: مثل حبة خردل». والعَجْب بفتح المهملة وسكون الجيم بعدها موحدة، ويقال له: (عَجمُ) بالميم أيضاً عوض الباء، وهو عظم لطيف في أصل الصلبِ، وهو رأس العصعص، وهو مكان رأس الذنب من ذواتِ الأربعِ. وفي حديث أبي سعيد الخدري عند ابن أبي الدنيا وأبي داوود والحاكم مرفوعاً: «إنه مثل حبة الخردل». قال ابن الجوزي: قال ابن عقيل: لله في هذا سر لا يعلمه إلا الله، لأن من يظهر الوجود من العدم لا يحتاج إلى شيء يبني عليه. ويحتمل أن يكون ذلك جعل علامة للملائكة على إحياء كل إنسان بجوهره، ولا يحصل العلم للملائكة بذلك إلا بإبقاء عظم كل شخص لِيُعلَم أنه إنما أراد بذلك إعادة الأرواح إلى تلك الأعيان التي هي جزء منها، ولولا إبقاء شيء منها لجوزت الملائكة أن الإعادة إلى أمثال الأجساد لا إلى نفس الأجساد.

وقوله في الحديث: «ويبلى كل شيء من الإنسان» يحتمل أن يريد به يفنى؛ أي تعدم أجزاؤه بالكلية. ويحتمل أن يراد به يستحيل، فتزول صورته المعهودة فيصير على صفة جسم التراب ثم يعاد إذا ركبت إلا ما عُهِد...، وقال العلماء: هذا عام يخص منه الأنبياء، لأن الأرض لا تأكل أجسادهم. وألحق ابن عبد البر بهم الشهداء، والقرطبي المؤذنَ المحتسب. قال عياض: فتأويل الخبر وهو: كل

ابن آدم يأكله التراب؛ أي كل ابن آدم مما يأكله التراب، وإن كان التراب لا يأكل أجسادًا كثيرة كالأنبياء»[1].

(٣)- كلمة ﴿أَفَحَسِبْتُمْ﴾- ﴿أَيَحْسَبُ﴾ وردت ثلاث مرات في القرآن الكريم:

١- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣/ ١١٥].

٢- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: ٧٥/ ٣-٤].

٣- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٧٥/ ٣٦-٤٠].

(٤)- عبارة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ في إحياء الموتى والبعث والنشور وردت ثلاث مرات في القرآن الكريم:

١- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٣٠/ ٢٥].

٢- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٤١/ ٣٩].

٣- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٢/ ٢٩].

(٥)- الكافرون يشككون بالبعث والنشور في استفهام إنكاري بقولهم: ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾؟ ﴿أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾؟ و: ﴿أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؟ و: ﴿أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾؟ **وجواب القرآن عليهم بعدها مباشرة،** في عبارات وردت سبع مرات في القرآن الكريم:

١- ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٤٩].

- ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ

(١) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري، ٨/ ٧١٠.

من يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٥٠-٥١].

٢- ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٩٨].

- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٩٩].

٣- ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٩/ ٦٦].

- ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ [مريم: ١٩/ ٦٧-٧٠].

٤- ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ [السجدة: ٣٢/ ١٠].

- ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ٣٢/ ١١].

٥- ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الصافات: ٣٧/ ١٦-١٧].

- ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [الصافات: ٣٧/ ١٨-٢١].

٦- ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات: ٣٧/ ٥٢-٥٣].

- ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٣٧/ ٥٤-٥٥].

٧- ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الواقعة: ٥٦/ ٤٧-٤٨].

- ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٥٦/ ٤٩-٥٠].

(٦) عبارة ﴿ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ و ﴿ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾، وربطها بمعاني بداية الخلق ﴿ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ وردت ثلاث مرات في القرآن الكريم:

١- ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٩/ ٢٠].

٢- ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٥٣/ ٤٥-٤٧].

٣- ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة: ٥٦/ ٦٠-٦٢].

(٧) - عبارة ﴿وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾، وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات:

١- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١/ ٣٥].

٢- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣/ ١١٥].

٣- ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٩/ ٥٧].

(٨) إعادة الخلق يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿يَبْعَثُ﴾ و ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ تكررت في القرآن الكريم سبع مرات:

١- ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٦/ ٣٨].

٢- ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ١٩/ ١٥].

٣- ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٢٢/ ٧].

٤- ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٦/ ٣٦].

٥- ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٥٨/ ٦].

٦- ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة: ٥٨/ ١٨].

٧- ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٦٤/ ٧].

ملاحظة: وردت كلمة ﴿يَبْعَثُ﴾ ثلاث مرات بالضبط في (١) و (٢) و (٣)، وعبارة ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ ثلاث مرات بالضبط أيضاً في (٤) و (٥) و (٦)، وكلمة ﴿لَتُبْعَثُنَّ﴾ وردت مرة واحدة فقط في (٧) وذلك بصيغة القسم بذاتِهِ سبحانه وتعالى بقوله: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾، ونادراً ما يقسم الله بذاته في القرآن الكريم، كما ذكرنا في المقدمة، بياناً لأهمية الموضوع وحسماً له. ومن التناسق السباعي أن هذه الآية تحمل الرقم (٧) من سورة التغابن!

أما كلمة ﴿ٱلْبَعْثِ﴾ التي هي مصدر الفعل ﴿يَبْعَثُ﴾ فقد وردت ثلاث مرات بالضبط كما جاء في أساسيات البحث في الفقرة رقم (٤).

(٩)- الخروج من القبور في قوله تعالى ﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ تكررت في القرآن الكريم ثلاث مرات:

١- ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٣٦/ ٥١].

٢- ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٥٤/ ٧].

٣- ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٧٠/ ٤٣].

(١٠) البيان الرباني ببدء الخلق وإعادته ﴿يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ تكرر في القرآن سبع مرات:

١- ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ١٠/ ٤].

٢- ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: ١٠/ ٣٤].

٣- ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٢٧/ ٦٤].

٤- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٩/ ١٩].

٥- ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم: ٣٠/ ١١].

٦- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٣٠/ ٢٧].

٧- ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ٨٥/ ١٣].

(١١) - عبارة ﴿يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ و ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ تكررت في القرآن سبع مرات:

١- ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٤].

٢- ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ١٥/ ٣٦].

٣- ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣/ ١٦].

٤- ﴿لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣/ ١٠٠].

٥- ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٢٦/ ٨٧].

٦- ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ٣٧/ ١٤٤].

٧- ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص: ٣٨/ ٧٩].

ملاحظة: تكررت العبارة ﴿أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ ثلاث مرات بالضبط في الآيات (١) و(٢) و(٧) أعلاه.

(١٢)- عبارة ﴿إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ تكررت في القرآن سبع مرات:

١- ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٠٣].

٢- ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَحۡرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِلسَّيَّارَةِۖ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗاۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [المائدة: ٥/ ٩٦].

٣- ﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٦/ ٧٢].

٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٨/ ٢٤].

٥- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣/ ٧٩].

٦- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [المجادلة: ٥٨/ ٩].

٧- ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الملك: ٦٧/ ٢٤].

(١٣) - مجموع كلمات ﴿تُخۡرَجُونَ﴾ و ﴿يَخۡرُجُونَ﴾ و ﴿يُخۡرِجُكُمۡ﴾ بمعنى البعث والنشور ﴿يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ﴾ وردت في القرآن الكريم سبع مرات:

١- ﴿قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٢٥].

٢- ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ [الروم: ٣٠/ ١٩].

٣- ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ [الروم: ٣٠/ ٢٥].

٤- ﴿وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣/ ١١].

٥- ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٥٤/٧].

٦- ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٧٠/٤٣].

٧- ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ٧١/١٨].

(١٤) - إحياء الموتى في عبارات: ﴿يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ و ﴿تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ و ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ تكررت سبع مرات بالضبط في القرآن الكريم:

١- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [الحج: ٢٢/٦].

٢- ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٢/٩].

٣- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٤٦/٣٣].

٤- ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٧٥/٤٠].

٥- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢/٢٦٠].

٦- ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٣٠/٥٠].

٧- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٤١/٣٩].

ثالثاً: أهم الأمثلة التي ذكرها القرآن الكريم لتوضيح البعث والنشور

(١)- إحياء الميت (القتيل) من بني إسرائيل:

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢/ ٧٢-٧٣].

(٢)- إحياء العزير وحماره بعد موتهما بمئة عام:

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٥٩].

(٣)- سيدنا إبراهيم (عليه السلام) والبرهان المشاهد لإحياء الطيور:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٦٠].

يقول محمد سليمان الأشقر في تفسيره لهذه الآية: (﴿أَرِنِي﴾: لم يرد رؤية القلب وإنما أراد رؤية العين لتحصل له الطمأنينة .﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾؟! بأنني قادر على الإحياء حتى تسألني إراءته؟ ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ علمت وآمنت بأنك قادر على ذلك. ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ باجتماع دليل العيان إلى دلائل الإيمان. ولم يكن شاكاً في إحياء الموتى قط، وإنما طلب المعاينة لِمَا جبلت عليه نفوس البشرية من رؤية ما أُخبرت عنه. ولهذا قال النبي ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة». وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (ما في القرآن عندي آية أرجى منها!)[(١)].

وفي ذلك إشارة واضحة إلى وجوب إقران أدلة المعاينة (الحقائق العلمية والطبية الملموسة) بالحقائق الإيمانية الغيبية كلما أمكن ذلك. كما في موضوع هذا المبحث (البعث والنشور في الكتاب المسطور والعلم المنظور) وكون عَجْب الذَّنَب مركز التخليق و إعادة التركيب يوم القيامة، كما جاء في حديث الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم.

(٤)- أصحاب الكهف وإعادتهم إلى اليقظة بعد رقود ثلاث مئة عام[(٢)]:

---

(١) محمد سليمان الأشقر: زبدة التفسير من فتح القدير، ص ٥٥.

(٢) محمد جميل الحبال: العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي - الاستنباطات العلمية والطبية من قصة أهل الكهف، ص ١٤٠ - ١٥٩.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٨/ ١٢].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ [الكهف: ١٨/ ٢١].

يقول الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم في تفسيره لهذه الآية: «فكما حفظ الله سبحانه وتعالى القدير أجساد هؤلاء الفتية من البلاء، وأعاد إليها الروح بعد رقود طويل، فإنه قادر على أن يجمع شتات الأبدان ورميمها ويعيد إليها الروح يوم الحساب»[1].

(٥)- تشبيه القرآن البعث والنشور بإنبات الأرض القاحلة تكرر في القرآن الكريم سبع مرات بالضبط:

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٢٢/ ٥-٧].

٢- ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [ق: ٥٠/ ٩].

٣- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٣٠/ ٤٨-٥٠].

٤- ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٣٥/ ٩].

(١) مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص ٢٠٧.

٥- ﴿وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣/ ١١].

٦- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ الْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٤١/ ٣٩].

٧- ﴿وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٧/ ٥٧].

(٦) (خلق الكون) علوم الفلك والأرض ﴿خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ﴾ وربطها بإحياء الموتى برهاناً على البعث والنشور، تكرر في القرآن الكريم ثلاث مرات:

١- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٤٦/ ٣٣].

٢- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٩٩].

٣- ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّٰقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ الَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٣٦/ ٨١-٨٣].

(٧)- مراحل خلق الإنسان (علم الأجنة) وربطها بإحياء الموتى برهان على البعث والنشور، تكررت في القرآن الكريم سبع مرات:

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى الْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٢٢/ ٥-٧].

٢- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣/١٢-١٦].

٣- ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٥٣/ ٤٥-٤٧].

٤- ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٥٦/ ٥٨-٦٢].

٥- ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٧٥/ ٣٦-٤٠].

٦- ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٨٠/ ١٧-٢٢].

٧- ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٨٦/ ٥-٨].

رابعاً: من معاني (عجب الذنب) في القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم لم يذكر (عجب الذنب) صراحة وكونه مركز أصل التخليق وإعادة التركيب يوم المعاد كما جاء ذلك واضحاً في الحديث النبوي الشريف، بل إن القرآن الكريم ذكره ووصفه بصورة عامة وإجمالية تشير إليه بأساليب بلاغية رائعة يمكن الاستدلال عليه من الآيات الكريمات المذكورة أدناه.

وحيث إن الحديث النبوي الشريف يعدّ شارحاً للقرآن الكريم كما جاء في قوله ﷺ: «أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ...، أَلا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَام فَحَرِّمُوهُ. أَلا لا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الأَهْلِيِّ وَلا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنْ

السَّبُعِ وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ إلا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا. وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ»(١).

لذلك نستطيع أن نقول: إن الآيات التي سنذكرها، وقد يكون هناك غيرها أيضاً، تشير مباشرة أو بصورة غير مباشرة إلى عجب الذنب والخلايا الجذعية الموجودة فيه التي لا تبلى بعد الموت، وتبقى أثراً ورمزاً خالداً لذلك الآدمي الذي سيعاد تركيبه منه يوم البعث والنشور لاحتوائه على الشفرة الوراثية (الخريطة الجينية) لذلك الإنسان أو المخلوق.

وسنذكر بعضاً من هذه الآيات الكريمات ذات المعنى العام على عجب الذنب، والاستدلال بتفسير قسم منها مما يشير إلى هذه الحقيقة.

(١) الإشارات القرآنية ذات المعنى العام:

١- ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ [ق: ٥٠/ ٤].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي ما تأكل من أجسادهم في البلى، نعلم ذلك ولا يخفى علينا أين تفرقت الأبدان وأين ذهبت وإلى أين صارت؟ وعندنا كتاب حافظ لذلك، فالعلم شامل والكتاب أيضاً فيه كل الأشياء مضبوطة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أي ما تأكل من لحومهم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم»(٢).

٢- ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣١/ ١٦].

٣- ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٣٦/ ٥١].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «وهي نفخة البعث والنشور للقيام من الأجداث والقبور. والنسلان هو المشي السريع»(٣). وفي ذلك إشارة إلى أن القبور (الأجداث) تحتوي على بقايا الآدمي الميت الذي سيبعث منه يوم القيامة.

(١) رواه أبو داوود برقم (٣٩٨٨).
(٢) تفسير ابن كثير، ٤/ ٢٦٠.
(٣) تفسير ابن كثير، ٣/ ٦٩٠.

٤- ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾ [نوح: ٧١/ ١٧-١٨].

٥- ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٩ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا ٥١﴾ [الإسراء: ١٧/ ٤٩-٥١].

٦- ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١٩﴾ [الروم: ٣٠/ ١٩].

٧- ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ [يس: ٣٦/ ١٢].

قال ابن كثير في تفسيره: «أي يوم القيامة، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيي قلب من يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة، فيهديهم بعد ذلك إلى الحق... وقوله: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ﴾؛ أي من الأعمال. وفي قوله: ﴿وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ قولان: أحدهما: نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم وآثارهم التي أثروها من بعدهم..... والقول الثاني أن المراد بذلك خطاهم إلى الطاعة والمعصية، وعن مجاهد ﴿مَا قَدَّمُواْ﴾: أعمالهم. و ﴿وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ قال: خطاهم بأرجلهم. وكذا قال الحسن وقتادة يعني خُطاهم»[(١)].

ونحن نقول - وبالله التوفيق -: إن من جملة الآثار الباقية في التراب عجب الذنب المكتوب في خلاياه الجذعية الخريطة الوراثية لذلك الإنسان، إذ إن في هذه الآية الكريمة إشارة إلى ذلك، فالله عز وجل الذي يحفظ آثار الخطا والأرجل للإنسان بعد وفاته في كتاب حفيظ، فهو القادر أيضاً أن يحفظ آثاره الأخرى الباقية التي لا تبلى ولا يأكلها التراب، وهي الخلايا الجذعية الأساسية لذلك المخلوق في عجب الذنب الذي لا يبلى، كما ذكر ذلك المصطفى ﷺ في أحاديثه، وخص هذا العظم من دون بقية عظام الجسم ولو أنه ظاهرياً وتشريحياً يُعد من العظام الضامرة في نهاية العمود الفقري!

(١) تفسير ابن كثير، ٣/ ٦٨٧ - ٦٨٨.

(٢) عبارة ﴿مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وردت في القرآن ثلاث مرات:

١- ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ١٠/ ٦١].

٢- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٣٤/ ٣].

قال ابن كثير في تفسيره: «﴿لَا يَعۡزُبُ﴾؛ أي لا يغيب عنه فالجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه منه شيء، فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت، ثم يعيدها كما بدأها أول مرة فإنه بكل شيء عليم»[(١)].

٣- ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾ [سبأ: ٣٤/ ٢٢].

(٣) عبارة ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ وردت في القرآن أربع مرات:

١- ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام: ٦/ ٥٩].

٢- ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ١٠/ ٦١].

٣- ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٣٤/ ٣].

٤- ﴿وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢٧/ ٧٥].

---

(١) تفسير ابن كثير، ٣/ ٦٤٠.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «قال ابن عباس رضي الله عنهما: وما من شيء في السماء والأرض إلا في كتاب مبين»[1].

ونحن نقول - وبالله التوفيق -: وكم نقص من أجسادهم وكم بقي منها حتى لو كان مثقال حبة من خردل أو ذرة أو حتى أصغر من ذلك فإنه مسجل ومثبت في الكتاب المبين، ويندرج في ذلك الخلايا الجذعية (الأولية أو الأساسية) (Stem Cells) حتى لو بقيت منها خلية جذعية واحدة، ولو كان نواتها فقط؛ إذ تحتفظ - كما هو معروف علمياً - النواة بالخريطة الجينية الوراثية (كتاب الحياة) لذلك الإنسان أو لذلك المخلوق؛ فتشكل هذه الخلية أو هذه النواة الباقية في عجب الذنب المركز الأساس والبذرة التي سيتشكل ويتخلق منها ذلك الكائن أو الإنسان يوم المعاد!

البعث والنشور في العلم المنظور:

يقول الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي عن كيفية حشر الأجساد وعودة أرواحها إليها: «لا يستطيع العلم أن يصف كيفية حشر الأجساد، أو أن يحللها ويعللها بالطريقة العلمية التي يمارسها الإنسان في هذه الحياة؛ وذلك لما كنا قد ذكرناه في أن شأن العلم محصور في أنه يبدأ البحث بموضوعات توجد في التجربة الخارجية البعيدة عن وحي العقل أو التفكير المحض، ثم تفرض نفسها عليه طبق ما دلت عليه المشاهدة والتجربة، وعلى العقل بعد ذلك أن يفسرها ويحللها فقط».

ويستطرد البوطي قائلاً: «كل ما نملكه من نظر وبحث في هذا الموضوع هو أن نبدأ فنتساءل: هل المعاد يكون بعد انعدام الأجساد من الوجود أصلاً؟ أم بعد تفتت أجزائها وأجزاء أجزائها في طوايا الأرض أو بطون الحيتان أو أعماق البحار؟..

ولكن جمهور العلماء رجحوا القول الثاني، وهو جمع شتات الأجزاء وتفرقها؛ إذ هو ظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ

(١) تفسير ابن كثير، ٣/ ٤٨٥.

شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [القصص: ٢٨/٨٨]، وقوله تعالى: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾ [ق: ٥٠/٤]، فهلاك الشيء يطلق على فساده وخروجه على أن يبقى منتفعاً به كما كان. تقول هلك فلان أي مات، وهلكت الدار إذا تقوضت ولم تعد صالحة للسكنى فيها. ولا يشترط لإطلاق الهلاك الانعدام الكلي، والفناء كذلك، تقول فنيَ الثوب والعظم إذا أصبح كل منهما أنكاثًا وأجزاءً متفرقة لا يستفاد منها لشيء. ومما يؤكد أن المقصود بالفناء هو هذا الذي نقول، بل خصوص الموت فقط، قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ﴾ [الرحمن: ٥٥/٢٦]، أي كلُّ من على الأرض فان. فحكم بالفناء على الأحياء التي تكون على وجه الأرض واستثنى ذاته جل جلاله، فتبين أن الفناء المعني إنما هو الموت، أما الأرض ذاتها وما هو في حكمها فهي فانية بهذا المعنى من قبل.

أما دلالة الآية الثانية، فهي من حيث إنها رد على الذين استعظموا الحشر بعد الموت بقولهم: ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ [ق: ٥٠/٣]، إذ أجاب على إنكارهم واستعظامهم ذلك ببيان أن الله عز وجل يعلم مصير جسومهم التي ذابت في طوايا الأرض وغيرها، وعنده سجل يحوي عدد ذرات هذه الجسوم التي تفرقت في هذه الأمكنة! ويضبط كل ذرة حسب صاحبها [كما ذكرنا سابقاً في الآيات الكريمات بخصوص ﴿مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ و ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾] فما العجب من تجميعها مرة أخرى كما تجمع برادة حديد امتزجت بين حفنة من التراب بواسطة قطعة من المغناطيس الجاذب؟!

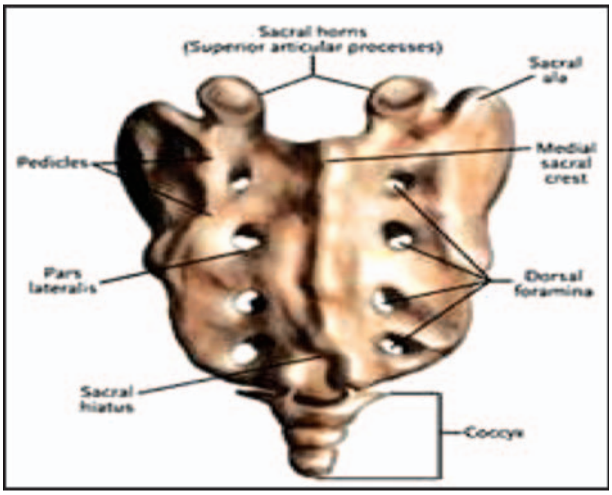
فالآية دالة على أن الحشر يكون عن طريق تجميع الذرات من التفرق والشتات، لا عن طريق إيجادها من العدم المطلق، ويدل على هذا المعنى قوله عز وجل: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٧٥/٣-٤]، وبهذا تعلم أن الذي يعود من الإنسان إلى التجمع والحياة [في اليوم الآخر] إنما هو عين أجزائه التي عاش بها في الدنيا، والمقصود بعين أجزائه، هو عين أجزائه الأصلية التي استقبل بها الحياة»[(١)] انتهى قوله.

(١) محمد سعيد رمضان البوطي: كبرى اليقينيات الكونية - كيفية حشر الأجساد وعودة أرواحها إليها، ص٣٤٥- ٣٤٧.

وهذا القول يصب في محور بحثنا عن قوله ﷺ في عجب الذنب: «منه خلق وفيه يركب»؛ حيث إن الشريط الأولي والعقدة الأولية الذي يتشكل في الأيام الأولى للجنين هو الذي تتكون منه أنسجة الجسم وأعضاؤه مستقبلاً، وهو كذلك سيترك خلايا سوف تستقر خالدة في عجب الذنب الذي لا يبلى ليكوِّن الخلايا الجذعية في داخله المركز أو الأساس التي يبعث منها الإنسان يوم القيامة كما سنذكره في الأدلة من التعاليم الإسلامية والطبية العلمية.

أولاً: عجب الذنب مركز التخليق وإعادة التركيب[(١)]

عجب الذنب هو آخر عظمة في العمود الفقري (العصعص) (Coccyx)؛ وهو مجموعة من الفقرات الضامرة فيه (انظر الشكل ١).



الشكل رقم (١)

(The Coccyx) **العصعص (عجب الذنب) هو خمس من الفقرات الضامرة في نهاية العمود الفقري.**

وقد جاء ذكره في الأحاديث النبوية أنه أصل الإنسان والبذرة أو حبة خردل التي يبعث منها يوم القيامة، وأن هذا الجزء لا يبلى ولا تأكله الأرض، في قوله ﷺ:

---

(١) محمد جميل الحبال: العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي - عجب الذنب مركز التخليق وإعادة التركيب، ص ٨٤ - ٨٧.

١- «ثم يُنْزِلُ الله مِن السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ. قَالَ: وَلَيْسَ مِنْ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلا يَبْلَى إِلا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

٢- «كُلُّ بَنِي آدَمَ» وَفِي حَدِيثِ مُغِيرَةَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلا **عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ**»(٢).

٣- «إِنَّ فِي الإِنْسَانِ عَظْمًا لا تَأْكُلُهُ الأَرْضُ أَبَدًا، فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالُوا: أَيُّ عَظْمٍ هُوَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «عَجْبُ الذَّنَبِ»(٣).

وقد أعلن فريق بحثي من جامعة ميشيغان بالولايات المتحدة الأمريكية يضم باحثين مسلمين وغير مسلمين (Ben Chen and Ramzi Mohammed) مؤخراً في المؤتمر الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بالكويت في ذي القعدة ١٤٢٧ هـ، الموافق تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٦ م، من خلال بحث هام عن عجب الذنب وكونه مركز التخليق وإعادة التركيب (والذي حضرته وشاركت في مناقشته)، بعنوان:

(Miraculous Description About The Creation of Human Bodies (And Not Soul) From Tail Bone In The Day of Resurrection).

فقد حصلوا على نتائج تثبت أن الخلايا الجذعية (Stem Cells) في منطقة العصعص لها خصائص مميزة عن غيرها من الخلايا الجذعية في أنسجة الجسم الأخرى. وتوصل الباحثون أيضاً أن عجب الذنب ومنظومة الخلايا التي فيه تؤدي دور البرمجة والتمييز والتخصص لخلايا الجسم الأخرى، فهو ليس مركزاً لإعادة تركيب الإنسان يوم القيامة في البعث والنشور فقط، وإنما لإعادة تشكيل هذا الإنسان على الصورة التي خلق عليها، فهو يعمل كالبوصلة (The compass) في رسم خطوط الخلايا ومساراتها عند انقسامها وتوزيعها لتكوين مختلف

(١) رواه البخاري برقم (٤٥٥٤)، ومسلم برقم (٥٢٥٣)، وأبو داوود برقم (٤١١٨)، والنسائي برقم (٢٠٥٠)، وابن ماجه برقم (٤٢٥٦)، وأحمد برقم (٧٩٣٤)، ومالك برقم (٥٠٣)، واللفظ لمسلم.

(٢) سبق تخريجه، وهذا لفظ النسائي برقم (٢٠٥٠).

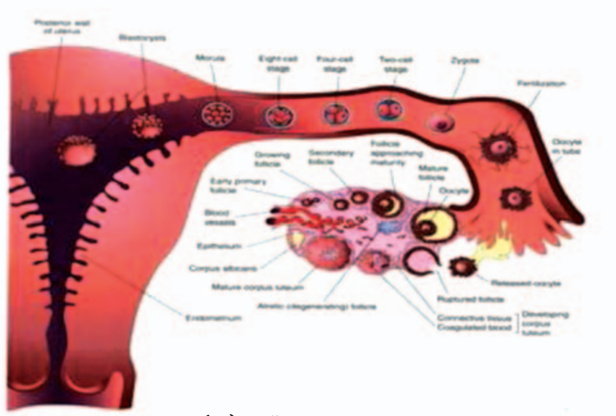
(٣) سبق تخريجه، وهذا لفظ مسلم برقم (٥٢٥٥)، وأحمد برقم (٧٨٣٣).

الأنسجة والأعضاء، كلٌّ حسب تخصصاتها وبدقة متناهية. فسبحان الله الذي أحسن كل خلقه ثم هدى!

وهذه النتائج الأولية من هذا البحث تفتح الباب لعشرات الأبحاث العلمية حول عجب الذنب التي بدأ هذا الفريق العلمي وغيره القيام ببعضها.

ثانياً: من علم الأجنة(١)

يبدأ تكون الجنين عندما يحدث تلقيح البويضة بالحيمن الذكري، حيث يدخل إلى البويضة وتصبح بيضة مخصبة (الزايجوت/ Zygot)، التي تنقسم إلى خليتين وكل خلية تنقسم إلى خليتين أخريين، وهكذا يستمر الانقسام وتكاثر الخلايا وتتكون مرحلة التوتة (Maruola) حيث تكون الخلايا في هذه المرحلة خلايا كاملة القدرة (Totipotent Cell) وتستطيع تكوين أي نوع من خلايا الجنين مستقبلاً، وذلك خلال الأسبوع الأول من الإخصاب (انظر شكل رقم ٢).



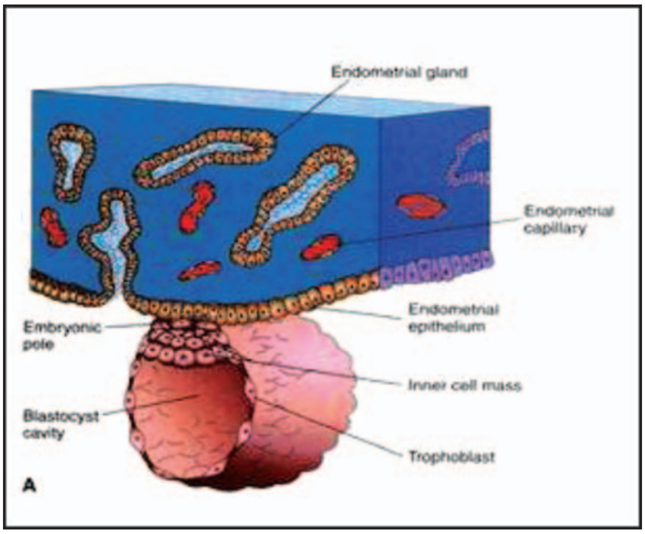
الشكل رقم (٢)

هذا الشكل يوضح التطورات الحادثة خلال الأسبوع الأول من الإخصاب التي تشمل الانقسامات المتتالية للبويضة المخصبة في أثناء مرورها بقناة فالوب

(١) مصطفى عبد المنعم: عجب الذنب اكتشافات جديدة، مجلة الإعجاز العلمي، ص ٤-٨ (بتصرف).

حتى المنطقة العليا من الرحم. ويوضح الشكل أطوار البويضة المخصبة والخليتين والأربع والثماني والست عشرة (بداية مرحلة التوتة/ Maruola) التي تدخل الرحم مع الانقسام المتكرر.

بعد ذلك تتكون الحويصلة الجذعية (البلاستوسست/ Blastocyst)؛ إذ تنغرس في بطانة جدار الرحم وهو طور الانغراس (Implantation)، وتتكون من طبقتين؛ الخارجية التي تحتوي على الخلايا الآكلة (Cytotrophoblasts) التي تثبت الحويصلة الجذعية في جدار الرحم لتكوين المشيمة وأغشية الجنين، والكتلة الداخلية (Inner Cell Mass) لتكوين الجنين نفسه، والتي تتكون من خلايا جذعية وافرة القدرة (Pluripotent Cells) لها قابلية تكوين خلايا الجسم كاملة (انظر الشكل رقم ٣).

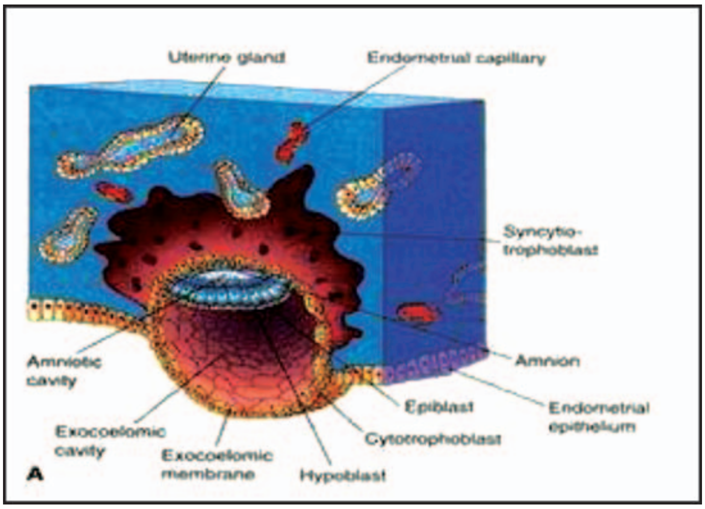


الشكل رقم (٣)

طور البلاستوسست (Blastocyst) المكون من طبقة خارجية من الخلايا لتكوين أغشية الجنين، وكتلة داخلية من الخلايا لتكوين الجنين نفسه، وهو طور الانغراس (Implantation).

ثم تقوم هذه الكتلة الداخلية من خلايا الحويصلة الجذعية (البلاستوسست/ Blastocyst) بالتميز إلى طبقتين أوليتين؛ الطبقة العليا (إيبيبلاست/ Epiblast)

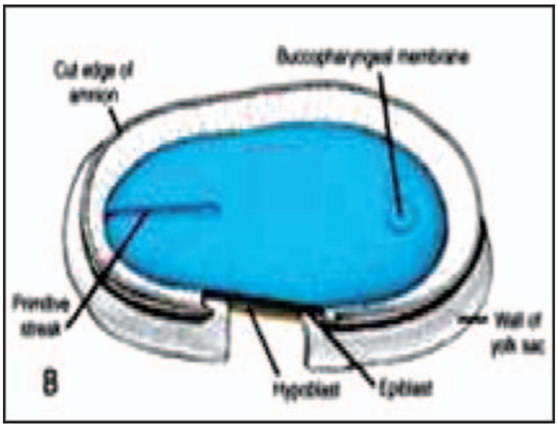
والطبقة السفلى (هايبو بلاست/ Hypoblast) وذلك في بداية الأسبوع الثاني (انظر الشكل رقم ٤).



الشكل رقم (٤)

يوضح الشكل تميز الكتلة الداخلية من خلايا البلاستوسست إلى طبقتين أوليتين عليا وسفلى تعرفان باسم: (Epiblast & Hypoblast)

وفي نهاية الأسبوع الثاني وبداية الثالث يظهر في الطبقة العليا (Epiblast) تكوين جديد يسمى بالشريط أو الخيط الأولي (Primitive Streak) وفي نهايته الرأسية العقدة الأولية (Primitive Node) (انظر الشكل ٥)



الشكل (٥)

تكون الشريط الأولي (primitive streak) في طبقة الإبيبلاست في نهاية الأسبوع الثاني وبداية الأسبوع الثالث.

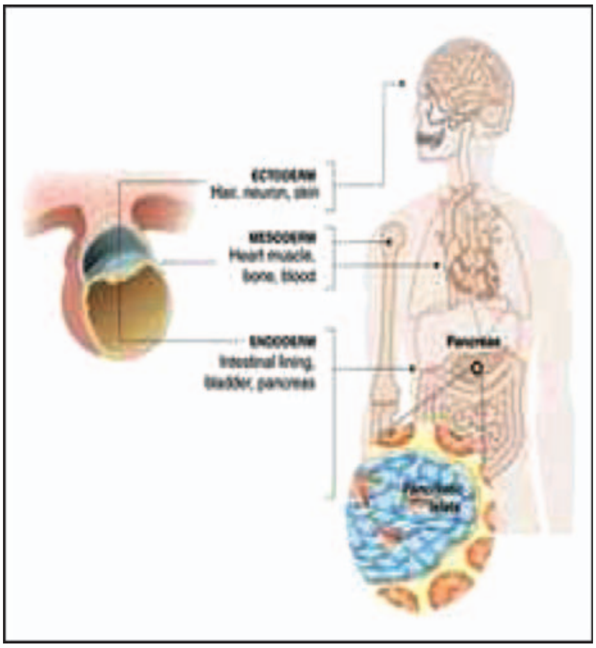
إن الطريقة التي بواسطتها يتحول القرص الجنيني من ثنائي الطبقات إلى ثلاثي الطبقات والذي يسمى بمرحلة المعيدات (Gastrulation) هي عن طريق تكاثر خلايا الطبقة العليا (Epiblast) حيث يقل الترابط فيما بينها، ثم تمر من خلال الشريط الأولي (Primitive Streak) والأخدود لتكوين شبكة من الخلايا تدعى الميزو بلاست (Mesoblast)، التي تنتشر جانبياً ورأسياً لتكوين طبقة وسطية جديدة بين الإيبوبلاست والهايبوبلاست تدعى الطبقة الجنينية الوسطى (Intraembryogenic Mesoderm). كما أن قسماً من خلايا الميزو بلاست تزيح وتدفع خلايا الهايبوبلاست جانباً مكونة طبقة جديدة من الخلايا تدعى الطبقة الجنينية الداخلية (Embryonic Endoderm). أما الخلايا المتبقية من الإيبوبلاست (الطبقة العليا) فإنها تكون طبقة الإكتوديرم (الطبقة الجنينية الخارجية/ Embryonic Ectoderm). لذلك فإن طبقة الإيبوبلاست (Epiblast) هي مصدر تكوين الطبقات الجنينية الأولية الخارجية والوسطى. ومعظم (إن لم يكن جميع) الداخلية

(Embryonic Endoderm , Ectoderm and Mesoderm). وتقوم خلايا هذه الطبقات الأولية الثلاث بالانقسام والهجرة والتحرك والتجمع والتميز لتكوين أنسجة الجنين وأعضائه المختلفة كما يلي:

١- طبقة الإكتوديرم Ectoderm: يتكون منها الجلد والشعر والجهاز العصبي المركزي.

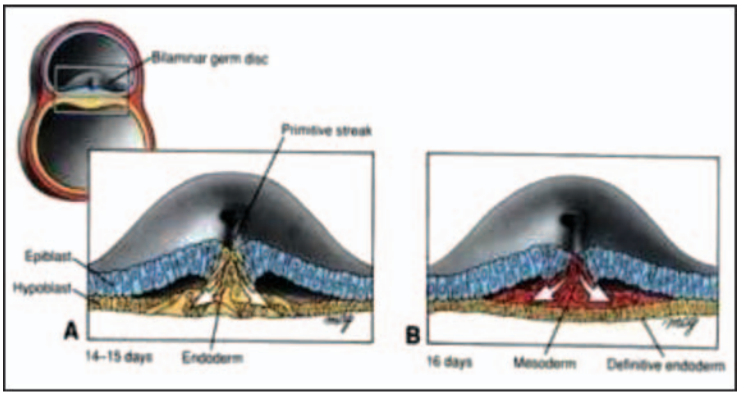
٢- طبقة الميزودرم Mesoderm: تنشأ منها العضلات الملساء المغطية للجهاز العظمي، والعضلات المخططة المرتبطة بالعظام، كذلك ينشأ منها الجهاز الدوري والقلب والعظام والغضاريف والجهاز التناسلي والبولي (عدا المثانة) والأنسجة تحت الجلد والجهاز اللمفاوي والطحال والغدة الكظرية فوق الكلوية.

٣- طبقة الإندودرم Endoderm: يتكون منها النسيج الطلائي المبطن للجهاز الهضمي والتنفسي وملحقات الجهاز الهضمي الكبد والبنكرياس والمثانة البولية والغدة الدرقية والجار درقية والقناة السمعية (انظر الشكل ٦).



الشكل رقم (٦)

يوضح الشكل الأنسجة الأساسية التي ستنتج عن انقسام خلايا الطبقات الثلاث (Ectoderm, Mesoderm and Endoderm) وتمايزها، وبذلك تتكون الطبقات الثلاث أعلاه من طبقة أولية واحدة هي طبقة (Epiblast)، ويكون الأساس في تكون خلايا الطبقات هو هجرة الخلايا ومرورها خلال الشريط الأولي (Primitive Streak). (انظر الشكل رقم ٧).

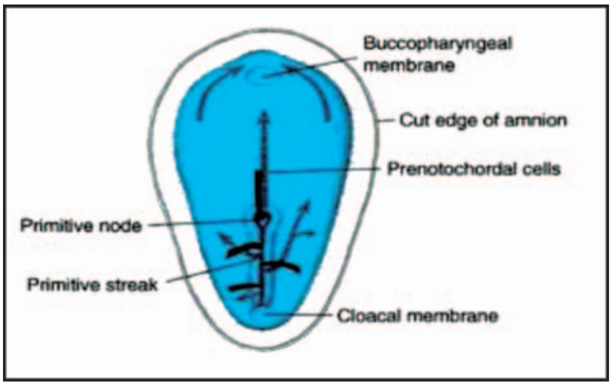


الشكل رقم (٧)

- يوضح الشكل هجرة خلايا الطبقة العليا (الإبيبلاست/ Epiblast) من خلال مرورها في الشريط الأولي (The primitive streak) حيث تحل خلاياها أولاً في اليوم الرابع عشر والخامس عشر محل خلايا الطبقة السفلى (الهايبوبلاست/ Hypoblast) مكونة نسيجاً جديداً يعرف باسم (Intraembryonic mesoderm).

وعند مرور الخلايا من خلال الشريط الأولي (Primitive streak)، فإن كل خلية تمر من مكان معين منه في أثناء عبورها لتكوين خلايا طبقة (الميزودرم/ Mesoderm)؛ إذ تتجه إلى مكان محدد تماماً في هذه الطبقة الجديدة. وهو ما يمكن تفسيره بحدوث نوع من البرمجة للخلايا عند مرورها في الشريط الأولي (Primitive streak). وهذا التقدير المسبق الدقيق يمكن من رسم خريطة دقيقة لاتجاه الخلايا في (Primitive streak)؛ وهي ما يعرف باسم خريطة المصير (Fate map). (انظر الشكل رقم ٨).

وهذا تأكيد للحديث النبوي الشريف في قوله ﷺ: «منه خلق».



الشكل رقم (٨)

-يوضح الشكل الشريط الأولي والعقدة الأولية وحتمية مسار خط هجرة الخلايا حسب نقطة عبورها من خلال الشريط الأولي (Primitive streak) مما يوضح حدوث نوع من البرمجة أو تحديد المسار لكل خلية حسب نقطة عبورها لتتوجه إلى مكان محدد من الجنين، ولتنقسم كل خلية منها بعد ذلك وتتميز لنوع معين من الخلايا (طريقة عمل البوصلة).

وبعد ذلك يحدث ضمور في الخيط الأولي وعقدته الأولية، ويتراجعان إلى الخلف (المؤخرة) لتستقر نهايته في منطقة العصعص ليكون عجب الذنب لاحقاً، والذي أخبرنا عنه المصطفى عليه الصلاة والسلام أن الإنسان يخلق منه ويركب فيه، حيث يكون البذرة التي يعاد تركيب الإنسان منها يوم القيامة.

فالخيط الأولي وعقدته الأولية يمثلان عجب الذنب؛ أي أصله كما أخبرنا عنه المصطفى ﷺ.

ثالثاً: الورم المتعدد الأنسجة (Sacrococcygeal teratoma).

ويسمى (الجنين المشوه) دليل على أن عجب الذنب يحتوي على الخلايا الجذعية.

كما نعلم، فبعد تكوين الجنين وخلقه من الخيط الأولي والعقدة الأولية يتراجعان ويستقران في العصعص وفي آخر فقرة منه، وتبقى موجودة في العصعص محتفظة بخصائصها ومقدرتها الكلية الشاملة (الجنين الكامن). وإذا حدث لها مؤثر ونمت مرة أخرى فإنها تنمو نمواً يشبه نمو الجنين، مكونة ورماً متعدد الأنسجة يشبه الجنين المشوه، وقد تخرج منه بعض الأعضاء كاملة (قدم أو يد بأصابع وأظافر)، وتكون داخل الورمة أنسجة متنوعة بحيث عندما يفتح الورم بعد استئصاله يجد الجراح داخله الأسنان والأمعاء والعظام والشعر والغدد وغيرها من الأنسجة التي تمثل الطبقات الثلاث!. (انظر الشكل رقم ٩).



الشكل رقم (٩)

- صورة تظهر حدوث ورم في منطقة العصعص (عجب الذنب) المتعدد الأنسجة الذي يسمى (الجنين المشوه) .Teratoma

ووجود هذه الخلايا في منطقة العصعص لكي تحفظ البدأة البشرية. ويمكن الاستدلال بهذا على صحة الحديث الذي يقول إن الإنسان يركب من عجب الذنب يوم القيامة، فمنطقة عجب الذنب تحتوي على بقايا خلايا الخيط الأولي والعقدة الأولية وآثارها؛ وهي ذات مقدرة شاملة كلية، فلو نمت خلية فإنها تنمو نمواً بحيث تكون جنيناً؛ إذ تبدأ في تكوين الطبقات الأولية الثلاث الكتودرم والميزودرم والإندودرم تماماً مثل نمو الجنين، وعجب الذنب يحتوي على هذه الخلايا الجذعية الأم التي تكون الورم متعدد الأنسجة (الجنين المشوه) في دورة الحياة، خاصة عند الأطفال حديثي الولادة، ويستدل بهذا على إمكانية إعادة تركيب الإنسان من عجب الذنب الذي لا يبلى (كما سنذكر أدناه) يوم البعث والنشور الذي يحوي بقايا خلايا الخيط الأولي والعقدة الأولية ذات المقدرة الكلية الشاملة (Pluripotent Cells).

وقد جاء في الكتاب المنهجي للجراحة العامة (بيلي و لوف) في الصفحة ١٢٤٨ (Bailey and Love's- Short Practice Of Surgery) ما نصه باللغة الإنكليزية عن أورام المنطقة العجزية العصعصية ما يلي:

(Sacrococcygeal teratoma , although rare , is among the most common of the large tumours seen during the first 3 month of life. The frequency of the precoccygeal region for the development of a teratoma is explained by the fact that this area is the site of the "primitive node" , a group of totipotent cells that retain their totipotentiality longer the any other save the sex angel. Females are more often affected than males).

وخلاصة ترجمته باللغة العربية ما يأتي:

«إن الأورام متعددة الأنسجة التي تنشأ من المنطقة العجزية العصعصية، وإن كانت نادرة الحدوث، تعدُّ من أكبر الأورام الملاحظ حدوثها في الأشهر الثلاثة الأولى من عمر الإنسان. والسبب في كونها من النوع المتعدد الأنسجة (Teratoma) لحقيقة أن هذه المنطقة هي مستقر العقدة الأولية التي تتألف من خلايا جذعية كاملة القدرة، والتي تتميز باحتفاظها بهذه الصفات الأساسية الأولية للخلايا مدة أطول من الخلايا الأخرى المشابهة لها في غيرها من المناطق».

رابعاً: خلايا عجب الذنب (المنظم الأولي) تنتج جنيناً جديداً عند زرعها.

لقد اكتشف العلماء أن الذي يقوم بالتخليق والتنظيم لجميع خلايا الجنين هو الشريط أو الخيط الأولي (Primitive Streak)، وقبل تكوينه لم يكن هناك أي تمايز أو تحديد لمصير خلايا الجنين؛ فإنه يتكون من طبقتين فقط، لكن بمجرد ظهور الخيط الأولي والعقدة الأولية يحدث التمايز والبرمجة للخلايا من خلال مرورها في الشريط الأولي، وهذا التقدير المسبق الدقيق يُمَكِّن من رسم خريطة دقيقة لاتجاه الخلايا حسب مكان عبورها في الشريط الأولي، وهو ما يعرف باسم خريطة المصير (Fate Map) كما ذكرنا سابقاً.

ومن أهم العلماء الذين أثبتوا هذه الحقيقة العلمية العالم الألماني الشهير (هانس سبيمان)، إذ قام بدراسات وتجارب على الخيط الأولي والعقدة الأولية، واكتشف أن الخيط الأولي والعقدة الأولية هما اللذان ينظمان خلق الجنين، وأطلق عليهما اسم المنظم الأولي (Primary Organizar).

وقام بنقل (Blastopore) من جنين ضفدع إلى آخر؛ وهو تركيب مماثل لبعض أجزاء الشريط الأولي والعقدة الأولية في الإنسان، فنتج عن ذلك تكون جنين جديد آخر ملتصق مع الجنين الأول في صورة توءم سيامي (Complete Siamese). وهذا تأكيد آخر للحديث النبوي الشريف في قوله ﷺ: «منه خلق» (انظر الشكل ١٠).



الشكل رقم (١٠)

يوضح الشكل تكون جنين كامل جديد ملتصق عند نقل منطقة (Blastopore) (وهو تركيب مماثل لبعض أجزاء الشريط الأولي في الإنسان) من جنين ضفدع إلى آخر.

خامساً: عجب الذنب لا يبلى

ولقد قام العالم الألماني (سبيمان) عام١٩٣١م بسحق المنظم الأولي وزرعه مرة أخرى، فلم يؤثر السحق؛ فقد نما مرة أخرى، وكون محوراً جنينياً ثانوياً رغم سحقه، ولم تتأثر خلاياه. وفي عام ١٩٣٣م قام هذا العالم وعلماء آخرون بغلي المنظم الأولي وزراعته بعد غليه، فوجدوا أنه يؤدي إلى نمو محور جنين ثانوي بعد غليه ولم تتأثر خلاياه بالغليان. ولقد نال العالم الألماني (سبيمان) جائزة نوبل عام ١٩٣٥م على اكتشافه للمنظم الأولي (Primary Organizar).

إن إعادة التركيب والتخليق من عجب الذنب المذكورة تنطبق على الحيوانات التي لها عجب ذنب كما تنطبق على الإنسان، لذلك فانه يمكن إجراء الأبحاث على حيوانات التجارب لصعوبة إجرائها على الإنسان من ناحية الأخلاقيات الطبية؛ إذ قد لا يكون إجراؤها مبرراً من الناحية الطبية.

لذلك فلقد قام الدكتور عثمان جيلان بالتعاون مع الشيخ عبد المجيد الزنداني في رمضان ١٤٢٤هـ في صنعاء بتجربة على العصعص؛ حيث قاموا - وتحت تصوير تلفزيوني - بأخذ آخر فقرتين لخمس عصاعص للأغنام، وقاموا بإحراقها بمسدس غاز فوق أحجار ولمدة عشر دقائق حتى احمرت، وتأكدوا من إحراقها التام بحيث أصبحت حمراء، وبعد ذلك أصبحت سوداء متفحمة، فوضعوا القطع في علب معقمة وقام الدكتور صالح العولقي، أستاذ علم الأنسجة والأمراض في جامعة صنعاء، بفحصها نسيجياً، وكانت النتيجة مبهرة؛ إذ وجد خلايا عظمة العصعص لم تتأثر وما زالت حية وكأنها لم تحرق! وإنما احترقت العضلات والأنسجة الدهنية وخلايا نخاع العظم المصنعة للدم فقط، أما خلايا عظمة العصعص فلم تتأثر[(١)]!.

ولكن على الباحث في هذا المجال أن ينتبه إلى أن افتراض كون عظمة عجب الذنب (العصعص) ستظل بكاملها لا تبلى إنما هو مفهوم قد يوافق مقصود الحديث النبوي الشريف (موضوع البحث) أو قد لا يوافقه. فقد يكون هناك جزء

---

(١) ملخص البحث الذي قدمه الدكتور عثمان جيلان في المؤتمر السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة الذي عقد في دبي ٢٠٠٤م (واتصال شخصي).

من هذا العظم لا نعلم مقداره (وقد لا يرى بالعين المجردة)! هو الذي لا يبلى ولا يختفي. فإن الحديث الشريف ورد بلغة العرب والذي يشمل العام والخاص، أي يشير إلى العام ويراد به الخاص كما هو معلوم في علم البلاغة.

سادساً: الاستنساخ (الاستنسال) Cloning دليل على البعث والنشور

إن عملية الاستنساخ (الاستنسال/ Cloning) التي تم إنجازها في السنوات الأخيرة هي دليل آخر على البعث والنشور من خلايا عجب الذنب! فالاستنساخ - كما نعلم - يحصل من التلقيح الاصطناعي (اللاجنسي) لنواة خلية جسمية واحدة (Somatic Cell Nuclear Transfer) تؤخذ من أي نسيج جسدي، وتلقح كهربائياً مع بيضة خالية من النواة، حيث إن نواة الخلية الجسمية تحتوي على جميع الصفات الوراثية (المورثات أو الجينات) لذلك المخلوق لتعطي خلية جديدة (بيضة مخصبة) ذات قدرة على تكوين كائن حي، كما حصل في النعجة دولي. وهذا الإنجاز العلمي الجديد والمثير للجدل (بغض النظر عن موقف الفقهاء منه الذي يمكن معرفته من فتاوى المجامع الفقهية الإسلامية)، يقرب إلينا مفهوم البعث والنشور إلى درجة كبيرة؛ إذ إن جميع المخلوقات التي لها عجب الذنب (العصعص)، وكذلك الإنسان، يبقى منه بعد موته وبلاء جسده رمزه الجيني وخريطته الوراثية (Genetic Map) الخاصة به، محفوظة داخل عظم العصعص (عجب الذنب) الذي هو من أقوى عظام الجسد، على شكل بذور أولية (أو خلايا جذعية) تحمل الصفات الكاملة والهوية الشخصية لذلك المخلوق، وتبقى في الأرض لآلاف السنين بل ملايين السنين، ولو كان الشيء الباقي خلية واحدة داخل هذا الصندوق العظمي المتين أو جزءًا منه، فإنها ستكون الأساس أو النواة لإعادة التركيب والتخليق يوم المعاد عندما يصدر الأمر الإلهي بذلك، وينفخ بالصور للمرة الأخيرة لإعادة التخليق والبعث من جديد كما في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٣٦/ ٥١].

سابعاً: الاكتشاف المذهل (جينات الصندوق) (Homoe Box Genes)

ذكرنا سابقاً أن من ضمن التجارب التي قام بها العالم هانس سبيمان تجربتي السحق والغليان للمنظم والمخلق الأولي (الخيط الأولي والعقدة الأولية)، وكان

القصد من تلكما التجربتين معرفة طبيعة المواد التي توجد في هذا المنظم والمخلق الأولي والتي لا تتأثر بالسحق أو الغليان، ولم يتوصل لمعرفة هذه المواد.

وبعد ذلك قام علماء وباحثون آخرون بتجارب على عجب الذنب (الخيط والعقدة الأولية) لمعرفة ماهية المواد التي بداخله والمسؤولة عن تخليق الجنين الثانوي عند زراعته في جنين آخر.

ومن أهم هؤلاء العلماء العالم **كونراد هال وادينجتون** (**١٩٠٥-١٩٧٥م**) الذي أجرى تجاربه على الحيوانات الفقرية؛ إذ بدأ تجاربه في عام **١٩٣٣م** عندما قام بزراعة الخيط الأولي والعقدة الأولية لجنين طير (البط) في جنين طير آخر (البط)، فأدى إلى تخليق جنين ثانوي؛ أي إن المنظم والمخلق الأولي لهانس سبيمان موجود في الطيور، ويؤدي العمل نفسه؛ إذ إن هانس سبيمان قام بتجاربه على البرمائيات.

وتابع العالم كونراد وادينجتون تجاربه؛ إذ نجح في زراعة الخيط الأولي والعقدة الأولية لجنين بط (طائر) في جنين أرنب، وأدى إلى تخليق جنين طائر ثانوي (بط) من جنين الأرنب والعكس صحيح؛ أي لا يختص بنوع معين، أي إن الخيط الأولي والعقدة الأولية (الممثلين لعجب الذنب) يفتقدان خاصية النوع، فبالإمكان زراعة الخيط الأولي وعقدته لأي جنين في أي جنين آخر ليس من النوع نفسه؛ أي إن عجب الذنب إذا زرع في مراحله الأولية الجنينية المبكرة في أي بيئة جنينية مبكرة فإنه يؤدي إلى تخليق جنين ثانوي من نوع الجنين نفسه الذي أخذ منه (الخيط والعقدة)، والممثلان لعجب الذنب. والجنين المضيف يمثل هذه البيئة، والخيط الأولي وعقدته (عجب الذنب) يمثلان البذرة فإذا هيئت لهذه البذرة، الظروف المناسبة والبيئة المناسبة (الجنين المضيف) فإنها تؤدي إلى نمو جنين ثانوي وتخليقه، والله سبحانه وتعالى قادر على إيجاد البيئة المناسبة يوم القيامة لنمو عجب الذنب. إنه على كل شيء قدير.

وفي عام **١٩٣٣م** أيضاً قام هذا العالم بمحاولة استخلاص المادة الفعالة في الشريط الأولي الممثل لعجب الذنب، هو وعلماء آخرون، وكانت النتيجة أنهم

افترضوا أن المادة الفعالة للشريط الأولي هي مواد كيماوية ذات طبيعة دهنية، ومن ضمن هذه التجارب قام باستئصال الشريط ثم غليه لقتله، فقام بغليه لمدة **٣٠** ثانية ومن ثم زراعته في جنين آخر فأدى إلى نمو جنين ثانوي، فتأكد لديه أنه ربما يكون هناك مواد كيميائية هي المسؤولة عن عمله لا تتأثر بالغليان، ولكن لم يعرف ماهية هذه المواد.

وتوالت التجارب لمعرفة المواد التي بداخل الخيط الأولي والعقدة الأولية حتى عام **١٩٨٣**م، إذ اكتشفت هذه المواد. وبدلاً من زراعة جزء من الجنين لإنتاج جنين ثانوي تمكن العلماء من استخلاص هذه المواد من الخيط الأولي والعقدة الأولية وحقنها (زراعتها) في جنين آخر؛ لإنتاج جنين ثانوي. ونجحت التجربة؛ أي بعد حقن هذه المادة المستخلصة وزراعتها، أدت إلى تكوين جنين ثانوي، وهو يحوي جميع الأعضاء، ولكن بصورة جنين مشوه يسمى المحور الجنيني، وأصبحت عملية الزراعة أسهل من ذي قبل، وأصبح منظم سبيمان مجموعة خلايا تحتوي على مادة معينة لها القدرة على التنظيم وتؤدي إلى تخليق الأجنة.

فما هذه المادة؟ وما أهميتها؟

لقد استطاع العلماء اكتشاف هذه المواد في الذباب المنزلي في عام **١٩٨٣**م، وهذه المادة أو المواد تسمى جينات الصندوق (homoe box gene) اكتشفها العالم (ولترجهرنج) في جامعة بازل في سويسرا وآخرون، وبعد هذا الاكتشاف استطاع علماء الأحياء أن يمسكوا بإحكامٍ الشيءَ المدهش الذي يشترك فيه ويتشابه جميع أنواع الأحياء، وهذا الجين هو المسؤول عن تنظيم الأجنة وتخليقها.

يقول الدكتور **ماثيو سكوت** (Matthew Scott): إن جين الصندوق مكوّن من بروتينات مسجلة تخبر الخلايا في مختلف مراحل نمو الجنين ماذا تكوّن من أعضاء وأجهزة، أي يرسل التعليمات للخلايا لتخليق أجزاء الجنين.

وبعد اكتشاف هذه الجينات قام العالم إدوارد لويس(Edward B. Lewis) في كاليفورنيا بإجراء تجارب وأبحاث على هندسة هذه الجينات في الذباب، وحاز جائزة نوبل كما حازها هانس سبيمان.

وبعد ذلك اكتشف أن هذا الجين (جين الصندوق) موجود في جميع الحيوانات والفطريات والنباتات وأنه يقوم بالوظيفة نفسها، وأنه متشابه ومتماثل فيها كلها. وفي الإنسان فإن جينات الصندوق موجودة في الخيط الأولي والعقدة الأولية، وهي تتكون قبل تكونهما.

وقد اكتشف أن هذه الجينات (جينات الصندوق) تتكون في المنطقة التي سوف يظهر فيها الخيط الأولي والعقدة الأولية، وبعد ذلك تصبح هذه الجينات داخل خلايا الخيط الأولي والعقدة الأولية. هذه الخلايا المحتوية على هذه الجينات لها القدرة على التأثير والتنظيم على الخلايا الأخرى الموجودة حولها في الطبقة الظهرية للجنين (Epiblast) والخلايا المحيطة بها، بحيث تنظمها وتجعلها تكون أعضاء الجنين وأنسجته؛ أي أصبح منظم (هانس سبيمان Primary organizer) يتكوّن من مجموعة من الخلايا داخلها جينات الصندوق، هي المسؤولة عن تنظيم الجنين وتخليقه. وبدلاً من زراعة جزء من الجنين (الخيط الأولي والعقدة الأولية) أصبح بالإمكان استخلاص هذه الجينات وحقنها في جنين آخر لإنتاج محور جيني ثانوي.

وجين الصندوق متشابه ومتماثل ومحفوظ بين جميع أنواع الأحياء، وهو العامل المشترك بينها كلها، وهو الذي ينظم تخليق الأجنة ويؤدي إلى نمو الأحياء وتطورها؛ أي إنه الصندوق الذي يحمل ويحفظ المعلومات والأوامر لتخليق جميع الأحياء؛ من الفقاريات حتى الفطريات وانتهاءً بالنباتات.

فإذن أصبح جين الصندوق هو المفتاح لتنظيم عملية التطور والنمو في الحيوانات والنباتات، ويحتوي على الحامض النووي الذي يترجم ويسجل ترتيب الأحماض الأمينية في البروتين الناتج والذي يسمى بروتين المشابه المتحكم، وهو عبارة عن مكان ارتباط الحامض النووي، وأي بروتينات تمتلك هذه الخاصية تعدّ عوامل استنساخ؛ لذلك فالظهور والتنفيذ لهذه الجينات الصندوقية مهم لتنظيم الأجنة الأخرى الناتجة، فهو يشبه الكتاب الحفيظ الذي يحمل التعليمات ويرسل الأوامر لتكوين الكائن الحي، وهو - كما قلنا - متماثل في جميع الكائنات الحية، وله الوظيفة نفسها.

وهو بحق صندوق حفيظ وكتاب حفيظ محفوظ بين جميع الكائنات الحية، لا يحدث فيه خلل ولا تفريط. قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٦/ ٣٨].

قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: ٥٠/ ٤].

لذلك سوف يبعث الله تعالى الناس يوم القيامة ويعيدهم مرة أخرى من عجب الذنب المحتوي على جينات الصندوق الذي يؤدي دوره بتنظيم الإنسان وتخليقه مرة أخرى، كما نظم خلقه في البداية في الخيط الأولي والعقدة الأولية، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٢١/ ١٠٤].

يقول العالم جفري شوارتز عالم الفيزيائيات الإنسانية في جامعة (University of Pittsburgh): إن جين الصندوق هو مَلِك الجينات الذي يخبر الجينات الأخرى ماذا عليها أن تعمل. ويقول: هناك جينات خاصة بالتركيبات تسمى الجينات التركيبية، مثل تلك التي تحدد لون العين في الإنسان أو طول نبات الفاصوليا، لكن جينات الصندوق مختلفة عنها، فهي تتحكم وتنظم عملية نمو الكائن الحي وتطوره، فهي تعطي تعليمات عن الذي يكوّن مؤخرته ومقدمته، والخلايا التي تكوّن الدماغ، والخلايا التي تكوّن الأجهزة الأخرى....... إلخ.

ويقول أيضاً: إن جين الصندوق مثل الكمبيوتر؛ يستطيع أن يعمل أعمالاً متنوعة بسهولة بواسطة إعادة برمجته، ويقول: إن الفرق بين الإنسان والذباب ليس أكثر من أن تشغل أو توقف جينات الصندوق التي يشتركان فيها(١).

هذا ما توصل إليه العلم الحديث حتى الوقت الحاضر، وربما تُكتشَف في المستقبل مواد في عجب الذنب أدق من جين الصندوق!! والله أعلم.

وهذا مصداق لقوله ﷺ عندما سئل عن عجب الذنب في رواية لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ: «يأكل التراب كل شيء من الإنسان

(١) بتصرف عن بحث الدكتور عثمان جيلان: " الإعجاز الطبي في عجب الذنب ". www.55a.net، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

إلا عجب ذنبه»، قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: «مثل حبة خردل منه تنشؤون» وهي رواية ابن أبي حاتم، (وحبة الخردل هي أصغر الأشياء في لغة العرب).

الدليل الشرعي على بعث الأجساد وعودة أرواحها إليها:

وكما ورد على لسان المصطفى ﷺ فإن الله عز وجل يُنزل بقدرته في ذلك اليوم المشهود بعد قيام الساعة مطراً خاصّاً له صفات الإخصاب والتلقيح. كما مثّل لنا القرآن الكريم بالماء والمطر الذي أنزله الله سبحانه وتعالى من السماء في الحياة الدنيا إلى الأرض لإنبات البذور من الأرض الميتة أو القاحلة. فتنبت وتنمو هذه الخلايا (الجذعية) التي تحمل الصفات الوراثية لذلك المخلوق أو الإنسان والمحفوظة في عجب الذنب أو قسماً منه منذ زمان طويل؛ إذ إنه لا يبلى كما ورد في قوله ﷺ: «ثم ينزل الله من السماء ماءً (وفي رواية: كمني الرجال) فينبتون كما تنبت البقل (أي العشب) وليس في الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد؛ وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة»(١).

ثم تأتي الأرواح (النفوس) التي هي باقية خالدة عند بارئها في عالم البرزخ بعد أن فارقت أجساد أصحابها عند موتهم بأمر منه سبحانه وتعالى عند انقضاء آجالهم في الحياة الدنيا، فتتزاوج هذه الأرواح وتدخل الأجساد التابعة لها حصرياً؛ لقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [التكوير: ٨١/٧]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب ينبت، ويرسل الله ماء الحياة فينبتون منه نبات الخضر، **حتى إذا خرجت الأجساد أرسل الله الأرواح فكان كل روح أسرع إلى صاحبه من الطرف**، ثم ينفخ في الصور فإذا هم قيام ينظرون»(٢). صدق رسول الله ﷺ.

وبعد هذا التلاقي والتزاوج بين الأرواح والأجساد التابعة لها فإن البعث والنشور قد تحقق، فإذا الناس جميعاً قيام ينظرون ليوم الحساب. قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٣٩/٦٨].

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم ومالك في الموطأ وأبو داوود والنسائي.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة.

الخاتمة

«وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال مهم مؤداه: لماذا تعرض المصطفى ﷺ لقضية علمية غيبية كهذه في زمن لم يكن لمخلوق علم بها؟... وللإجابة عن ذلك نقول بأن الله سبحانه وتعالى يعلم بعلمه المحيط أن الإنسان سوف يصل في يوم من الأيام إلى معرفة مراحل الجنين، وسوف يستبين دور الشريط الأولي في تخليق الجنين الذي من بقاياه عجب الذنب، فألهم خاتم أنبيائه ورسله النطق بهذه الحقيقة ليبقى فيها من الشهادات على صدق نبوته وصدق رسالته وصدق تلقيه عن الخالق سبحانه وتعالى ما يبقى دائماً لكل زمان ولكل عصر.

ولما كان زماننا قد تميز بقدر من الكشوف العلمية والتطورات التقنية التي لم تتوافر لزمن من الأزمنة السابقة، فإن مثل الإشارات العلمية في كل من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ تبقى لغة العصر وخطابه، وأسلوب الدعوة إلى دين الله الخاتم الذي لا يرتضي من عباده ديناً سواه، فلا يمكن لعاقل أن يتصور مصدراً لهذه الحقيقة العلمية من قبل أكثر من ألف وأربع مئة سنة غير وحي صادق من الله الخالق! فسبحان الذي خلق فأبدع، وعلم فعلم، وأوحى إلى خاتم أنبيائه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه»(١).

ونختم بحثنا عن البعث والنشور وأحداثه كما وصفها الله عز وجل بقوله تعالى:

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٥٠/٤١-٤٥].

اللهم ارحمنا في ذلك اليوم العصيب واجعلنا من الناجين والفائزين ومن الذين تشملهم رحمتك وندخل جنتك، ومن الذين قُلت بحقهم: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣/٦٨-٧٠].

(١) زغلول النجار: الإعجاز العلمي في السنة النبوية، ١/١٠٩ - ١١٠.

الاستنتاجات

إن النتائج المستنبطة من هذه الأبحاث والدراسات المذكورة تصب جميعاً في تأييد المعاني التي وردت في الأحاديث النبوية الشريفة عن عجب الذنب وأنه:

١- مكون أساس أصله من الشريط الأولي الذي خلق منه الجنين.

٢- وأن عجب الذنب (أو قسم منه) لا يبلى.

٣- منه يركب الخلق يوم المعاد لاحتوائه على الخلايا الجذعية.

وربما سيكشف لنا العلم مستقبلاً المزيد من النتائج التي تزيد في البرهنة على ذلك، وهذا ما يثبت لنا قطعياً الأمور الآتية:

١- إن البعث والنشور حق كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧/١٠٥].

٢- إن نبوة الرسول ﷺ ورسالته حق أيضاً لما ثبت من صدق حديثه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٥٣/٣-٤].

٣- سلامة منهج السلف الصالح وصدقه في نقل الأحاديث النبوية الشريفة حتى وصلت إلينا كما أخبر عنها ﷺ.

كما توصلنا من خلال هذا المبحث واستعراض الآيات الكريمات بخصوص البعث والنشور أن القرآن الكريم قد عني كثيراً بهذه الحقيقة الإيمانية التي وردت بصيغ بلاغية رائعة وبيانية إعجازية متعددة، تكررت معظمها (وربما جميعها) بشكل ثلاثي وسباعي له علاقة بحقائق علم الأجنة ومراحل خلق الإنسان، مما يضيف إعجازاً رقمياً إلى هذه الحقيقة ويوضح التوازن والتطابق بين القرآن والكون. فالله عز وجل الذي أنزل القرآن هو الذي خلق الكون والإنسان، لقوله عز وجل: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٢٥/٦]، فضلاً عن المؤشرات العلمية والطبية المذكورة؛ ومن أهمها أن خلاياه الأساسية (الجذعية) ممكن زرعها في جنين آخر لتكوين جنين جديد.

وكذلك أن الورم الناشئ عنها يكون متعدد الأنسجة (Teratoma)، وكذلك مقاومته عجب الذنب للتلف، وأن خلاياه المحفوظة فيه لا تبلى إلى يوم يبعثون!

وهكذا أصبحت العلوم الطبية والحقائق العلمية توضح لنا البعث والنشور الذي هو من أركان الإيمان الغيبية، وكذلك أصبحت العلوم الكونية في خدمة العلوم الشرعية وأركان الإيمان، وفي هذا تعزيز لهذه الأركان وتصديق لقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٢٧/ ٩٣].

قصيدة

وقد اطلع أخونا السيد علي حامد الراوي على البحث وفاضت قريحته بالأبيات الشعرية الآتية جزاه الله خيراً:

إنّ الحياة تفاخر وغرور ... وختامها موت لنا ونشور
طوبى لمن نفع الأنام بعلمه ... مستهدياً بالله، وهو صبور
وبهدي خير الخلق ذاك الذي ... قطع الشكوكَ كلامُه المأثور
الله أكبر (يا جميل) لقد سما ... بحث لكم وسبيله منظور
نهج لكم أضحى يؤيده هدىً ... ومن الكتاب دليله المسطور

الفصل الثالث

القرآن كنز للعلوم ويهدي إلى بحوث جديدة

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن مهمة الداعية والباحث الإسلامي ومنهجهما في هذا العصر (وكذلك بالنسبة إلى كل مسلم، وفي كل عصر ومصر) في الدعوة إلى الإسلام وكتابه العظيم القرآن الكريم والدفاع عنهما، يجب أن تكون كمهمة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ ومنهجه؛ والتي كانت تتلخص في الدعوة إلى الإيمان بالله تعالى، وعبادته وحده لا شريك له، والإيمان باليوم الآخر، والإنذار من يوم الحساب القادم، والعمل على تكوين الإنسان الصالح والمجتمع الفاضل على هدي من القرآن الكريم الذي هو آخر الكتب المنزلة والمهيمن عليها، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٥/٤٨]. كل ذلك من أجل أن يعيش الناس في سلام وسعادة في هذه الدنيا، ويحققوا خلافة الله تعالى في الأرض وعمارتها، ثم بعد ذلك (وهو الأكثر أهمية) أن يفوزوا برضوان الله تعالى، وبالسعادة الأبدية (جنات النعيم)، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ١٦/٩٧].

المنهج الدعوي القرآني المطلوب

ومن أجل الوصول إلى هذه الأهداف العظيمة والمصيرية، كان الرسول الأمين سيدنا محمد ﷺ، ومن قبله إخوانه من الرسل والأنبياء (وبهدي من الله تعالى)، يتبعون في الدعوة المنهج الآتي الذي يمكن تلخيصه بالأمور الرئيسة الآتية:

١- البصيرة والبرهان

قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٢/١٠٨]، والبصيرة هي الحجة والدليل، والمعرفة والبرهان؛ لقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٤٥/٢٠]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ٦/١٠٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٤/١٧٤].

٢- الحكمة والموعظة الحسنة

قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٦/١٢٥]. والملاحظ هنا أن المطلوب في الخطاب الدعوي هو الموعظة الحسنة والنقاش العلمي الهادي الرصين، ويمكن الاصطلاح عليه بـ(الجدلية العلمية المنطقية)، ولكن سبق ذلك كلمة (الحكمة) التي يمكن تعريفها بـ(وضع الشيء في محله)، ومن أجل ذلك سُمِّيَ الطبيب حكيماً، لأنه يصف الدواء المناسب الذي يحتاجه المريض بعد تشخيص مرضه ويضعه في مكانه الصحيح. فالحكمة هنا هي (الإصابة في الأقوال والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه المناسب بإحكام وإتقان)(١)، ونستطيع أن نقول: إنها (أسلوب الدعوة).

ولكن، لكل عصر من العصور أساليب للدعوة يتبعها الداعية الإسلامي

---

(١) إبراهيم النعمة: قبسات من الحكمة النبوية في الدعوة إلى الله، ص٥.

للوصول إلى عقول الناس وقلوبهم لتحقيق الأهداف والمهام الكبيرة التي ذكرناها قبل قليل، التي هي -كما قلنا- مهمة الرسل والأنبياء، صلوات ربي وسلامه عليهم جميعاً. وهذه الأساليب والطرائق تعتمد على أحوال حياتهم وبيئتهم، والمستوى الفكري للناس في ذلك الوقت.

ضرورة الخطاب العلمي وأسبابه

ونحن إذ نعيش في هذا العصر (بداية القرن الحادي والعشرين)، نرى أن من الأساليب المهمة في الوقت الحاضر، للدفاع عن القرآن الكريم وإظهار حقائقه وكنوزه، إظهارَ البرهان والخطاب العلمي، أو ما يسمى اصطلاحاً بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وذلك للأسباب الآتية:

١. إن العلم والتقدم العلمي والتقني والمعرفي من موضوعات الساعة، وإن لغة العلم هي لغة العصر الذي أصبح يهتم اهتماماً بالغاً بالعلوم المادية والتجريبية.

٢. إن لغة العلم أصبحت اللغة المشتركة في أقطار المعمورة كلها، على اختلاف أجناسها ولغاتها وثقافاتها، وأصبحت الحقائق العلمية من الأمور التي يفهمها ويتفق عليها الناس كلهم، وأصبح العالم كأنه قرية واحدة صغيرة أمام هذا التقدم التقني الهائل الذي وفّر، وسيوفر، أسرع وأوضح الاتصالات والمواصلات لانتقال وتبادل هذه العلوم والمعارف في شتى المجالات وأدق التخصصات. إذ إن القرآن الكريم هو كتاب هداية للناس كافة، وليس مقتصراً على العرب أو من يفهمون اللغة العربية الذين يستوعبون إعجازه البياني والبلاغي (والذي هو من أهم جوانب الإعجاز القرآني)، فأصبح من الواجب علينا إظهار الجانب العلمي الذي أصبح أكثر وضوحاً في الوقت الحاضر نتيجة التقدم في العلوم في جميع تخصصاتها.

٣. وفي هذا العصر، الذي غَيّر فيه العلم الكثير من أساليب حياة الإنسان وطرائق تفكيره، والذي أصبح ينظر فيه (وبوساطة العلم كذلك) إلى الطرائق الاستدلالية القديمة، التي كان السابقون يستخدمونها في الماضي مع أن دلالاتها أو دلالة معظمها صحيحة، كالمنهج العقلي مثلاً، على أنها طرائق باطلة،

وأصبح الإنسان الحديث يؤمن بأن الطريقة الصحيحة والمعتمدة للاستدلال المقبول هي التي أنتجها التفكير العلمي. فقد استغل أعداء الدين والملحدون بعض هذه الحقائق العلمية لمحاربة الحقائق الإيمانية، مدعين لأنفسهم بالعلمية والتفكير العلمي، ولم يدروا أن هذه العلوم، ومهما تقدمت، هي غيض من فيض بالنسبة إلى الحقائق العلمية الثابتة المطلقة في علم الله الموجودة في الكون، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٨٥]. فنحن المسلمين أمام هذه التحديات يجب أن نواجه الأعداء بتلك المصطلحات والوسائل والأساليب التي يستخدمونها؛ وذلك باتباع الأسلوب العلمي، وإيجاد فكر إسلامي عصري متكامل، وبذلك نقيم الحجة عليهم بالأدلة والبراهين العلمية، وقد يهديهم الله تعالى إلى الإيمان إن كانوا صادقين، لمعرفة الحقيقة، وفي الوقت نفسه نعيد الثقة إلى كثير من المسلمين، ونزيد من إيمانهم وهم يريدون -من باب (ولكن ليطمئن قلبي)[1]- أن يجدوا جواباً علمياً لكثير من الأسئلة، قال تعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١/ ١٨].

٤. المادة العلمية الهائلة الموجودة في القرآن الكريم (كنز في العلوم والمعارف)، فقد جاء القرآن الكريم بثروة علمية كبيرة! فإن هذا الكتاب المبارك، مع أنه أساساً كتاب في العقائد والأحكام الشرعية والهداية والإرشاد، وأنه أحدث تغييراً جذرياً في المجتمع، ونقله من الشرك إلى التوحيد ومن

(١) يقول صاحب كتاب (زبدة التفسير من فتح القدير) ص٥٥ -في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٦٠]-: (أرني) لم يرد رؤية القلب إنما أراد رؤية العين لتحصل له الطمأنينة .﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ﴾بأنني قادر على الإحياء حتى تسألني إراءته؟ ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾علمت وآمنت بأنك قادر على ذلك، ﴿وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ باجتماع دليل العيان إلى دلائل الإيمان. ولم يكن شاكاً في إحياء الموتى قط، وإنما طلب المعاينة لما جبلت عليه النفوس البشرية من رؤية ما أخبرت عنه، ولهذا قال النبي ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «ما في القرآن عندي آية أرجى منها» انتهى. وفي ذلك إشارة واضحة إلى إقران أدلة المعاينة (الحقائق العلمية الملموسة) بـ(الحقائق الإيمانية الغيبية) كلما أمكن ذلك.

الضلال إلى الهداية والإرشاد، ومن الفساد والإفساد والانحراف في جميع مجالات الحياة إلى الإصلاح والاستقامة فيها، فإنه ذكر كثيراً من الإشارات والحقائق العلمية في جميع تخصصاتها الطبيعية، بلغت أكثر من (١٢٠٠) آية، أي نحو (٢٠٪) من مجموع عدد آيات القرآن الكريم، والبالغة (٦٢٣٦) آية تم جمعها وفهرستها في كتابَيْنا (العلوم في القرآن)[١] و(الطب في القرآن)[٢] كما في الجدول أدناه:

الموضوعات العلمية وعدد آياتها ونسبتها المئوية لكل موضوع في القرآن الكريم

التسلسل	الموضوع العلمي	عدد الآيات	النسبة المئوية
1	العلوم الطبية	416	31,5
2	الفيزياء	138	10,5
3	علم الأحياء (النبات والحيوان)	130	9,8
4	علم الفلك والفضاء	105	8,0
5	الجغرافية	98	7,4
6	الزراعة	89	6,7
7	الرياضيات والإحصاء	79	6,0
8	علم طبقات الأرض	69	5,2
9	التعلم والبحث العلمي	59	4,5
10	علم البحار والأنهار	35	2,6
11	وسائط النقل	28	2,0
12	أصل الإنسان والمخلوقات الأخرى	27	2,0
13	الآيات التي تنطبق على جميع العلوم	18	1,5
14	الهندسة	12	0,9
15	الكيمياء	11	0,8
16	علم لغة الحيوانات والطيور	8	0,6
	مجموع الآيات	1322	100

وإننا -في هذا العصر- نستطيع بوساطة هذا الكم الكبير من الإشارات العلمية والطبية في القرآن والسنة، والتي بدأ العلم التجريبي يظهرها لنا، ويخدمنا في فهم معانيها، والذي لم يكن ذلك متوافراً في السابق؛ لعدم توافر

(١) محمد جميل الحبال ووميض العمري: الطب في القرآن.
(٢) محمد جميل الحبال ومقداد الجواري: العلوم في القرآن.

هذه الوسائل العلمية والتقنية، ولم يكن السابقون بمقدورهم استيعاب معانيها لعدم توافر هذه الوسائل لديهم، فإننا -والحالة هذه- نستطيع -وبعون الله تعالى- تحقيق السبق العلمي في بعض المجالات العلمية إذا توفرت الأدوات لإثباتها، وذلك لأن القرآن الكريم يبين لنا دائماً الحقائق المطلقة والنهائية في الكون والحياة؛ قال تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٧/ ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤/ ١٦٦]، أي جعله يتضمن كل العلم.

٥. وفي إظهار الجوانب العلمية في القرآن الكريم، رد ودفاع إيجابي منطقي عقلاني عنه للذين يدعون -زوراً وبهتاناً- أن القرآن مناهض للعلم وتقدمه، أو أنه حجَرَ على العلماء والفكر العلمي، وما ذكرناه (وما سنذكره) من إحصائيات وآيات قرآنية وأمثلة، تدحض هذه الادعاءات الكاذبة، الصادرة إما من جاهل وإما من حاقد. فالعكس هو الصحيح؛ إذ العديد من الآيات القرآنية تشجع وتحث على النظر في الكون وظواهره الطبيعية والإنسان والمخلوقات كافة، وسبر أغوارها والإفادة منها، كقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٩/ ٢٠].

- ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠/ ١٠١].
- ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٨٦/ ٥].
- ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ٨٨/ ١٧-٢٠].
- ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٥١/ ٢٠-٢١].

يقول محمد قطب: «إن الحس البشري لا يملك مع تأمل هذه الآيات إلا ويلتفت إلى الجانب العلمي فيها؛ فكلها (ظواهر طبيعية) تلفت النظر، والقرآن الكريم يشد الانتباه إليها شداً ليتأملها الإنسان ويتدبرها، وفي أثناء تدبرها لا عجب أن يبحث عن السنن الربانية التي يجري لها الله هذه الظواهر

الطبيعية. والبحث عن هذه السنن الكونية، ومحاولة تعرفها، هي الروح العلمية الحقيقية التي يتقدم بها البحث العلمي ويكشف المجهول»[١].

فضلاً عن مئات الآيات الكريمة في استنهاض الهمم والعقول للتفكر، واستعمال الأدوات الحسية التي خلقها الله تعالى للإنسان للتوصل إلى الحقائق الإيمانية والعلمية، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٦/ ٥٠]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢/ ٢١٩]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ [محمد: ٤٧/ ٢٤]، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢/ ٧٦]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ٥٧/ ١٧]، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٣/ ١٩٠]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٣٠/ ٢٢]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ١٥/ ٧٥]، وغيرها!

ويقول الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي: «والإيمان عندنا -نحن المسلمين- لا يتعارض مع العقل والفكر؛ بل يبني عليه ويتغذى به. والمؤمنون في نظر القرآن هم (أولو الألباب)، والقرآن آيات (لقوم يعقلون) أو (يتفكرون). والعقل عند محققي الآية أساس النقل، فلولاه لما استدل على وجود الله ولا على إثبات النبوة. والقرآن بتعاليمه ينشئ العقلية العلمية التي تتقيد بالفكر، وتؤمن بالبرهان، وترفض الخرافة، وتنكر التقليد للآباء أو للسادة الكبراء»[٢].

لذلك، نرى أنه بعد أن استتب الأمر للدين الإسلامي، بعد إرساء قواعد التوحيد والقضاء على الشرك والكفر في الجزيرة العربية في عهد النبوة والخلافة الراشدة، وفتَح المسلمون الأمصار واستقر الأمر لهم، برزت عندهم المواهب والتقدم في مختلف العلوم الإنسانية والكونية الطبيعية بجميع تخصصاتها، وتقدموا في جميع العلوم والمعارف، وظهرت الحضارة الإسلامية في أبهى صورها. إذ فهم واستوعب المسلمون توجيهات كتاب ربهم وسنة نبيهم، وعرفوا ما يراد منهم، وما واجباتهم ومسؤولياتهم في إعمار الأرض وتسخيرها لهم بقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ

---

(١) محمد قطب: رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، ص١٦١.

(٢) يوسف القرضاوي: الرسول والعلم، ص ٣٨.

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٤٥/١٣]، وهذا التسخير لا يتم إلا بفك أسرار هذه النواميس الكونية، عن طريق العلم والمعرفة، والإحاطة بقوانينها التي تترجم قوانين الكون ومنظوماته. لذلك نبغ فيهم العلماء والأطباء في مختلف التخصصات العلمية والإنسانية، وكانوا سادة العالم بحق ولقرون عديدة.

ولكن، عندما تخلف المسلمون عن هذا الفهم، وتخلوا عن العلم، خرجت من أيديهم هذه العلوم، وأصبحوا في آخر القافلة، في الوقت الذي انتبه الغرب إلى أهمية هذه العلوم والمعارف، وبذل قصارى جهده للحصول عليها منهم، (كما أثبتت الدراسات ذلك في انتقال العلوم والمعارف من العرب والمسلمين إليهم)، فحصل على مراده، وسيطر بذلك على العالم! قال تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٢٠].

٦. إن الدين الإسلامي لم يعرف صراعاً بين العلم والدين كما جرى في أوربا في القرون الوسطى، حين وقفت الكنيسة تحارب العلم وتضطهد العلماء وتشجع الخرافات. وكم قتل من هؤلاء العلماء الذين تفتحت عقليتهم فقاموا باكتشافات علمية في ذلك الوقت، مما أدى إلى حدوث الخصام الشديد والفصام النكد في أوربا؛ بين الدين الذي تمثله الكنيسة، وبين العلم والعلماء. بيد أن الدعوة إلى نبذ الدين جانباً في ديارنا الإسلامية مقتفين أثر أوربا والغرب، قد علقت في أذهان من تثقفوا بالثقافة الأوربية فقط! فغزت هذه الفكرة الشوهاء عقول قسم من أبنائنا ممن لم يكن لهم رصيد في الثقافة القرآنية والشريعة الإسلامية وتاريخ الأمة في التقدم العلمي والحضاري، فأرادوا أن يتمردوا على دينهم كما تمردت أوربا على دينها. إذ جهلوا الفرق الكبير بين الفكر الديني الأوربي وبين الإسلام. وما أروع عبارة العلامة مسمر حين قال: «إن الغربي لا يصير عالماً إلا إذا ترك دينه، بخلاف المسلم؛ فإنه لا يترك دينه إلا إذا صار جاهلاً»[١].

يقول الدكتور عماد الدين خليل: «وقد حشد القرآن الكريم ما يقرب من خمسين آية في تحريك العقل البشري من وهدة التقليد والتبلد. كما حشد عشرات

(١) أنور الجندي: شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، ص ٣٢.

الآيات في إيقاظ الحواس من سمع وبصر ولمس، وعشرات أخرى في إيقاظ التفكير، فضلاً عن طلب البرهان. بل إن القرآن أضاف حقيقة في غاية الأهمية؛ وهي أنه أطلق كلمة العلم على الدين، كأنه يمزج بينهما مزجاً لا فكاك له. ومن ثم يغدو العلم والدين سواء في لغة القرآن»[١].

ويقول الدكتور حامد أحمد حامد: «وقد ورد ذكر (العلم ومشتقاته) في القرآن الكريم في ٧٨٢ موضعاً، ووردت (المعرفة) في ٢٩ موضعاً. ويساوي عدد مرات ذكر (العلم والمعرفة) بعدد مرات ذكر (الإيمان ومشتقاته) التي وردت في ٨١١ موضعاً من القرآن الكريم»[٢]. وفي ذلك دليل على التناغم والتناسق بين العلم والدين في منظوره القرآني!

لقد أهاب القرآن الكريم بالعقل أن يستيقظ من سباته، وأن يتفكر في ملكوت السماوات والأرض، كما ذكرنا أعلاه، وهذا ما يفسر لنا العناية الواضحة في القرآن باقتياد الإنسان ليرى ويسمع في آفاق هذا الكون العجيب، بما يزيده خشوعاً أمام حقيقة الألوهية، فيمتلئ قلبه إيماناً بأن هذا الكون لم يأت وليداً للمصادفة، كما يدعي الجاهلون المتظاهرون بالعلم، بل صنعه خالق حكيم قادر مدبر عليم، وسخره للإنسان، وأنزل القرآن ليكون منهاجاً له لضمان سعادته في الدنيا والآخرة، كما أنه منهاج وتفسير للكون!! كما سنفصله أدناه.

الكتابان والقراءتان (القرآن والكون)

إن القرآن الكريم هو كلام رب العالمين، وهو الذي أوحاه بوساطة جبريل الأمين إلى سيدنا محمد ﷺ ليكون المعجزة الكبرى والخالدة والعقلية والعلمية المتجددة، وهو -في الوقت نفسه- كتاب عقيدة ومنهج حياة للناس أجمعين، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١٨/ ١١٠]، وقد أمرنا الله تعالى بقراءته وتدبره، وفهم معانيه ومقاصده، فقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ

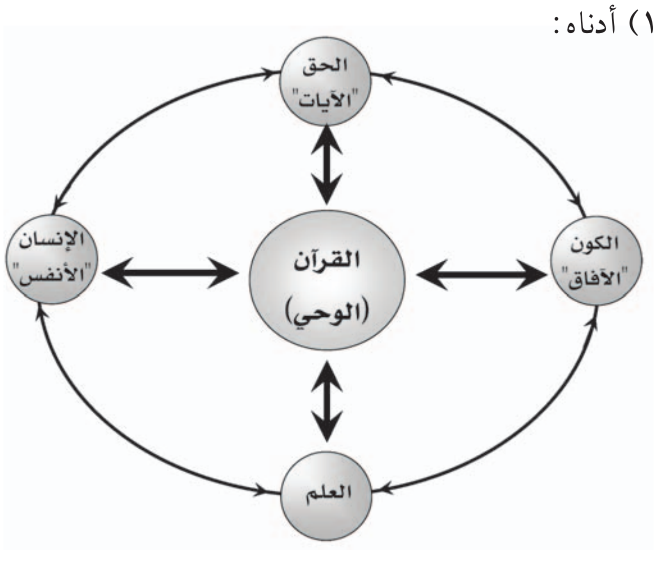
(١) عماد الدين خليل: تهافت العلمانية، ص٣٧.
(٢) حامد أحمد حامد: رحلة الإيمان في جسم الإنسان، ص٧.

مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٣٨/٢٩]. والكون (بما فيه ومن فيه ومحوره الإنسان) هو خلْق الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢/٢٥]، الذي أمرنا أن ننظر فيه ونتدبره لنتوصل إلى ما ينفعنا، ثم لنعرف من خلال ذلك قدرة الله تعالى ودقيق صنعه في مخلوقاته. فإذن، لله تعالى كتابان لهما قراءتان:

القراءة الأولى: الكتاب المسطور (المعجزة الكبرى) والحقيقة المطلقة والثابتة؛ القرآن الكريم، **كلام رب العالمين**.

القراءة الثانية: الكتاب المنظور (المعجزة الصغرى)، والذي هو الكون بما فيه الإنسان (أهم وأكرم مخلوق) **خلقه رب العالمين**.

ولما كان مصدر هذين الكتابين واحداً (وهو الله تعالى الذي أنزل القرآن وخلق الكون والإنسان)، فلابد أن يتطابقا ويتناسقا ويفسر كل منهما الآخر، ويساعدا على كشف أسراره، وفهم معانيه، وتأدية وظيفته، فالقرآن يقود إلى الكون، والكون يقود إلى القرآن، ويشكلان معاً في حالة الجمع بينهما مجموعة واحدة متناسقة ومتعاونة، يمكن الاصطلاح عليها باسم (المنظومة القرآنية في الكون والإنسان والعلم)، تضبطها وتسيرها قوانين وسنن واحدة!! كما في الشكل رقم (١) أدناه:



الشكل رقم(١):
المنظومة القرآنية في الكون والإنسان والعلم تفسير لهما

فالقراءتان (في الوحي والكون) فريضتان؛ لأنهما أمران إلهيان، والجمع بينهما ضروري، ومن دونه يقع الخلل، وحين يحصل الفصام بين الكتابين أو القراءتين فتكون النتيجة أن الذين يتعلقون بالجانب الغيبي من القراءة (كتاب الوحي)، ويسقطون الجانب الموضوعي وعناصره من العلوم والمعرفة الكونية (كتاب الكون)، فإنهم يتحولون إلى لاهوت وكهنوت ينتهي بهم إلى فكر جامد قد يحسب خطأ على الدين. والذين يتعلقون بقراءة الكون وحده فإنهم ينفون البعد الإيماني الغيبي الفاعل في الوجود وحركته، وينتهون إلى الفكر المادي الذي يؤثر في النسق الحضاري سلبياً، مؤدياً إلى المشاكل كالتي يشهدها العالم المادي في الوقت الحاضر.

إن الفرق بين الكتابين (القرآن والكون) أن قراءة الوحي بمنزلة تنزيل من الخالق إلى المخلوق، وبما تتيحه القدرة البشرية من التدبر لكتاب الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٥٤/١٧]، أما قراءة الكون فهي بمنزلة تطلع من المخلوق إلى الخالق على وفق قدرات البشر النسبية أيضاً في فهم الحقائق الكونية العلمية، فلا يقع الفصام المزعوم بين معطيات الوحي (القرآن الكريم) ونتائج المعرفة الموضوعية والحقائق الكونية، هذا ما أكدته بدايات التنزيل في سورة العلق، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٩٦/١-٥][(١)].

من هنا، كانت الإشارة الكونية في القرآن الكريم متطابقة مع معطيات العلم وحقائقه الثابتة، لذلك قال الشيخ عبد المجيد الزنداني: «لا يمكن أن يحصل الصدام بين آية قرآنية وحقيقة علمية، وإذا ما حصل ذلك فإنه إما أن تكون الإشارة العلمية ليست بحقيقة، وإما أن فهم الآية الكريمة وتفسيرها غير صحيح»[(٢)].

ومن هنا أيضاً كانت الأحكام والفرائض الشرعية والشرائع التعبدية في الإسلام، الذي دستوره القرآن، متناسقة مع خلق الإنسان والكون، ومتوافقة مع الفطرة البشرية والسنن الكونية، وكل انحراف أو ابتعاد عن هذه الشعائر

(١) طه العلواني: الجمع بين القراءتين؛ قراءة الوحي وقراءة الكون (بتصرف).

(٢) عبد المجيد الزنداني: تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص٢٦.

والشرائع سيؤدي إلى الفصام بينهما، ومن ثم إلى الخراب والفساد في الإنسان والمجتمع والبيئة، وستكون النتائج وخيمة على جميع المستويات والأصعدة في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى، والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طـه: ٢٠/ ١٢٤]. وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٢٤/٦٣]. فالله تعالى الذي خلق الكون والإنسان وأودعهما أسراره وقوانينه وسننه، هو نفسه -جل وعلا- الذي أنزل القرآن وضمَّنه توجيهاته وأوامره ونواهيه للبشر الذين خلقهم وكرمهم، ويعرف ما يناسبهم، وهو رحيم بهم، ويعلم ما ينفعهم وما يضرهم، قال تعالى ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٢٥/٦]، وقال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ٦٧/ ١٤].

الأمثلة

إن القرآن العظيم كنز للعلوم والمعرفة، ومَعين لا ينضب، يهدي العلماء كلاً حسب اختصاصه الدقيق إلى أبحاث جديدة، ويحقق -في حالة توظيف إشاراته العلمية بصورة صحيحة (إذا أحسن فهمها ودراستها بدقة)- خدمة للمعرفة والتقدم العلمي، في الحاضر والمستقبل، وصولاً إلى خير البشرية وسعادتها، وتحقيقاً لمبدأ الاستخلاف (التسخير) لها في الأرض، كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٣١/ ٢٠].

فالقرآن الكريم، كما أنه يهدي إلى العقيدة الصحيحة وإلى الشعائر الخالصة والشرائع القويمة والأخلاق الفاضلة، فهو يهدي أيضاً إلى جميع العلوم الإنسانية والكونية في جميع تخصصاتها، ويعطينا الخطوط العريضة والإشارات في أساس هذه العلوم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ١٧/ ٩]

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «من أراد العلم فليثوّر القرآن! فإنّ فيه علم الأولين والآخرين»[1].

(١) البوصيري: الدرر السنية، موقع على الشبكة العنكبوتية.

ويقول الإمام السيوطي في كتابه (الإتقان في علوم القرآن): «إن كتاب الله العزيز قد اشتمل على كل شيء. أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن وما يدل عليها»[١].

ويقول الإمام الزركشي في كتابه (البرهان علوم في القرآن): «من كان حظه في العلوم أوفر، كان نصيبه في علوم القرآن أكثر»[٢].

ويقول الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله في تفسيره (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٦/ ٥٩].

إن ﴿كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ -على قول- هو القرآن الكريم، فهذه الآية الكريمة تبين أنه ما من رطب ولا يابس إلا وهو في القرآن الكريم... نعم، إن في القرآن كل شيء! ولكن لا يستطيع كل واحد أن يرى فيه كل شيء، لأن صور الأشياء تبدو في درجات متفاوتة في القرآن الكريم؛ فأحياناً توجد بذور الشيء أو نواه، وأحياناً مجمل الشيء أو خلاصته، وأحياناً دساتيره، وأحياناً عليه علامات، ويرد كل من هذه الدرجات إما صراحة أو إشارة أو رمزاً أو إبهاماً أو تنبيهاً، فيعبّر القرآن الكريم عن أغراضه ضمن أساليب بلاغته، وحسب الحاجة، وبمقتضى المقام والمناسبة»[٣].

إن الناظر في كتب السلف والمفسرين رحمهم الله، يجد أن آيات العلوم الطبية والكونية نالت نصيباً يسيراً من عنايتهم، بالقياس إلى آيات الأحكام الفقهية، وهم معذورون في ذلك؛ لعدم توافر الوسائل والتقنيات العلمية الحديثة لديهم الموجودة في هذا العصر، والتي أصبح من الممكن حالياً الإفادة منها وصولاً إلى الهدف المذكور.

إن توظيف الإشارات الطبية والعلمية الواردة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ونقلها من الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي العملي (من الإعجاز

(١) السيوطي: الإتقان في علوم القران، ٢/ ١٢٩.
(٢) بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ٢/ ٢٥.
(٣) سعيد النورسي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص ٢٣٨.

إلى الإنجاز ومن التوصيف إلى التوظيف) أمر مهم، وكذلك الإفادة من معطيات العلم والطب الحديثين والتكنولوجيا المتطورة، لتحقيق ذلك، وتحقيق السبق العلمي في القرآن والسنة اللذين جاءا لهداية البشرية وسعادتها في المجالات كافة، ومنها تشجيع العلم والبحث العلمي.

إن الماهر في القرآن قد يستنبط منه أموراً لم يصل إليها العلم التجريبي بعد، فيأخذها المسلم من القرآن الكريم ويبني عليها البحوث والدراسات التجريبية، ويسبق الناس إلى كشوف علمية جديدة قد تكون في غاية الأهمية والفائدة للبشرية والنصر للأمة الإسلامية! قال سبحانه وتعالى: ﴿بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [القصص: ٢٨/ ٣٥].

فأعظم أسباب النصر أن بأيدي المؤمنين آيات الله القوي العزيز، ينتفعون منها بحسب عنايتهم بها واتباعهم لها. ولذلك لم يكن غريباً أن قال الله سبحانه وتعالى في القرآن المكي (قبل الهجرة إلى المدينة المنورة والإذن بالجهاد المسلح-القتال- بعدة سنوات): ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٥٢]، أي بالقرآن، وقيل بالإسلام وروحه القرآن أيضاً.. وهذا الجهاد الكبير في الدعوة لإظهار آيات القرآن وكنوزه ومعجزاته، ومنها الإعجاز العلمي، والدفاع عنه عن طريق الحجة والبرهان، وليس عن طريق السيف والسنان! علماً أن الجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام كما ذكر ذلك المصطفى ﷺ، ولكن لم يوصف ذلك الجهاد بالكبير ﴿جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ إلا في هذا الموضع في القرآن الكريم، دلالة على أهمية الخطاب العلمي في الدعوة إلى الله تعالى.

لقد كان بيد موسى وأخيه هارون عليهما السلام من الآيات ما يفعل الأعاجيب ويقلب الموازين؛ كالعصا مثلاً، غير أن العصا مخلوقة، وإعجازها من خارجها، كما أن إعجازها انقضى بموت موسى عليه السلام. وأما القرآن فإنه كلام الله تعالى وإعجازه في ذاته، كما أن معجزاته لم تنقطع بموت النبي ﷺ، بل حفظها الله تعالى للمسلمين إلى قيام الساعة. ولكن المسلم يحتاج إلى تدبر وبحث ومجاهدة، بحيث أن الإعجاز المكنون في الآيات يظهر جلياً على أيدي المسلمين.

ولنضرب أمثلة لتوضيح المقصود:

أولاً: الناصية (مقدمة الفص الأمامي للدماغ) مركز اتخاذ القرار

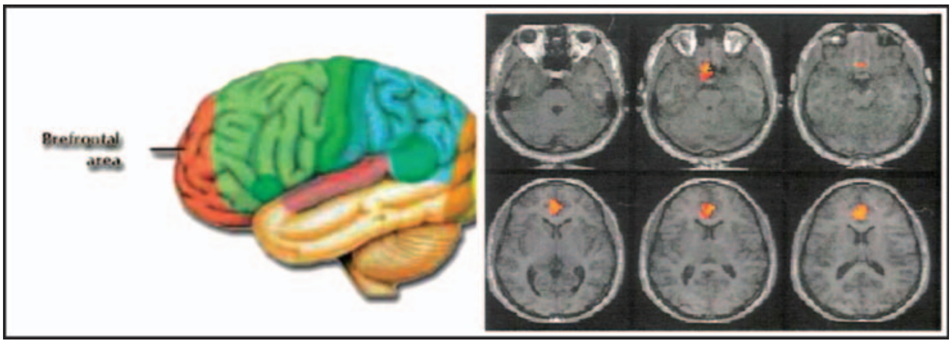
يقول عز وجل: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ٩٦/ ١٥-١٦].

السفع لغة: هو القبض على الشيء وجذبه بشدة، كما ذكره المفسرون. وأما الناصية فمقدمة الرأس كما ذكر الفراء رحمه الله تعالى[(١)]. وهو لفظ يدل بأصله على علو في الشيء كما يفهم من الشواهد في اللغة العربية. والمتوقع في العربية أن الشيء الذي يوصف بالكذب هو الإنسان بجملته أو كلامه أو كتابته أو فعله. وكذلك الخطيئة؛ هي وصف للنفس أو الفعل. وأما أجزاء الجسد، كالناصية أو الكتف أو الذراع أو الفخذ وغيرها، أفيوصف بعضها حقيقة بالكذب والخطيئة! أم مجازاً؟. والمجاز كان ملجأ لكثير من المفسرين إذا نزلت بهم نازلة، فقالوا: الوصف بالكذب والخطيئة ليس للناصية نفسها ولكن لصاحبها!.. وربما يحتج للمفسرين بأن المجاز وجه لتفسير الآية لأن القرآن الكريم خاطب العرب بما يمكن تأويله حسب ما عندهم من العلم، ويمكن التعبير بالناصية أو الوجه عن الإنسان بجملته في نحو هذا السياق؛ لأن الناصية أرفع شيء في الإنسان. وقد ذكر العلماء أمثلة كثيرة يطلق فيها اسم الجزء ولكن المراد هو الكل، كقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ [المجادلة: ٥٨/ ٣]؛ فعبر بالرقبة عن الإنسان لوجود مناسبة تلائم هذا التعبير في قضية التحرير. غير أنه إذا ظهر فيما بعد صحة حمل العبارة على الحقيقة، وجب الأخذ بذلك؛ لأن المجاز خروج عن الظاهر فلا يصار إليه إلا لضرورة، حين يكون الحمل على الحقيقة ممتنعاً أو متعذراً، كما هو معروف في أصول الفقه.

والحقيقة التي لا يشك فيها الأطباء اليوم أن الناصية تضم مقدمة الفص الأمامي للدماغ (Prefrontal area)، وهو الجزء الذي تتخذ فيه القرارات، وتصنع فيه الأفكار؛ من صدق وكذب وخطيئة وغير ذلك.كما في الشكل رقم (٢) أدناه:

---

(١) أبو زكريا الفداء: معاني القرآن، ٣/ ٢٧٩.



الشكل رقم (٢):
صورة جانبية للدماغ تبين مقدمة الفص الأمامي (الناصية) Prefrontal rea

أما اللسان واليد والرجل، فمجرد أدوات تتحرك بما تم صنعه وتقريره في ذلك الجزء من الدماغ. فلا شك أن الناصية أولى من اللسان بأن توصف بأنها كاذبة، وكذلك الأمر في وصفها بأنها خاطئة. وقد تم اكتشاف ذلك في الطب بعد بحوث تجريبية، ودراسات كثيرة عن وظائف الدماغ، منها التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي (MRI-f). فعندما يمارس الشخص الكذب يؤشر ذلك واضحاً في هذه المنطقة الأمامية من الدماغ. كما يظهر ذلك في الشكل رقم (٣) أدناه.

الشكل رقم (٣):
مقاطع من الدماغ تظهر مركز الكذب في مقدمة الفص الأمامي (الناصية) باللون البرتقالي عندما يبدأ الشخص الكذب. وتشخيصه بالتصوير الرنين المغناطيسي الوظيفي (MRI-f)

علماً أن الأطباء في الغرب لم يكن عندهم إشارات دينية تفتح لهم بداية البحث، وإنما توصلوا إلى ذلك باعتمادهم على النظر العقلي والتجربة والإخفاق وباستعمال التقنيات الحديثة!

فلو نظر الأطباء المسلمون سابقاً إلى احتمال وجود حكمة مكنونة في وصف الناصية بالكذب والخطيئة، وليس الذراع والفخذ، واحتمال أنه وصف حقيقي دعت إليه تلك الحكمة؛ لو نظروا هذا النظر لكانوا أسبق من غيرهم إلى الكشف عن وظائف الدماغ. فالذي حصل -كما في هذا المثال وكثير من أمثاله (كالرضاعة الطبيعية البشرية لمدة حولين كاملين، كما جاء في القرآن الكريم، وفوائدها بالنسبة إلى الطفل والأم والمجتمع، مقارنة بالرضاعة البقرية الصناعية ومساوئها)- أنه بعد أن تظهر الكشوف العلمية في الغرب غير المسلم، يقول المسلمون إن تلك الكشوف قد أشار إليها القرآن الكريم قبل أكثر من أربعة عشر قرناً!! وهذا وجه من الإعجاز بلا شك! ولكن الاقتصار عليه يعد -في رأينا- تخلفاً في دراسة القرآن! فالمطلوب من الباحث المسلم أن ينظر في القرآن الكريم كمفتاح للسبق إلى كشوف جديدة، وأن ينظر في آيات العلوم الكونية كما نظر الفقهاء الأوائل في آيات الأحكام الفقهية، فإنهم جاؤوا بكل وجه محتمل في تفسير الآية الواحدة، واحتجوا لكل وجه بما يمكن من حجج، واستعانوا بأدلة النقل والعقل لتغليب أصح الوجوه بحيث أن الفقيه يعجب اليوم بما تركه الأوائل رحمهم الله من بحوث واسعة في تفسير كل آية من آيات الأحكام. وآيات القرآن العظيم في الطب والفلك وسائر العلوم تؤيد هذا النظر، بل تقطع بصحته، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ١٣/ ٣١].

فهل يمكن أن يفتح القرآن الباب إلى بحوث تؤدي إلى تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وما إلى ذلك؟! والجواب أن الآية الكريمة أعلاه لا تنفي كون القرآن مفتاحاً لكل العلوم، بل إنها تثير الناظر وتحركه للبحث فيه لاستخراج هذه المفاتيح، حيث إن القرآن كنز للعلوم ويهدي إلى أبحاث جديدة.

ثانياً: نوم أهل الكهف طريقة جديدة للترقيد

ولنضرب مثلاً تطبيقياً استنباطياً على ما نقول، فيه سبق علمي من القرآن لم يتوصل إليه العلم والطب الحديثان بعد! ويمكن أن يكون مشروع بحث علمي طبي متكامل يحقق -في حال نجاحه- منفعة كبيرة للبشرية، وهو (نوم أهل الكهف طريقة جديدة للترقيد)؛ وذلك من قصة أصحاب الكهف والرقيم الذين ورد ذكرهم في سورة الكهف، والإشارات العلمية والطبية من أحوالهم، وصولاً إلى الاستنباط المذكور.

لقد فصل الله عز وجل لنا أحوال أصحاب الكهف في **١٨** آية قرآنية كريمة من سورة الكهف (من الآية **٩** إلى الآية **٢٦**)، والتي تتألف من **٣٣٦** كلمة. وكما هو معلوم فإن القرآن الحكيم من بلاغته يعتمد الاختصار والإيجاز في ذكر آياته، فضلاً عن كونه غاية في الإعجاز، فلا بد أن الباري عز وجل أراد بهذا التفصيل في شرح الحالة أن يرشدنا -نحن معاشر الأطباء والعلماء- في هذا الوقت، من خلال هذه الإشارات المباشرة وغير المباشرة في قصة هؤلاء الفتية للتوصل إلى طريقة جديدة للترقيد، من خلال الإفادة من التقنيات الحديثة في هذا العصر. في حين أن الله عز وجل عندما ذكر قصة العزير عليه السلام أشار إليها في آية واحدة فقط في سورة البقرة (الآية **٢٥٩**)، ومنها قوله تعالى في ست كلمات: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة: ٢/٢٥٩]! كون هذا الحدث معجزة، والمعجزة كما يعرفها العلماء: (الأمر الخارق للعادة، المقرون بالتحدي، والسالم من المعارضة)، لذلك، ولكونها خارقة للعادة فلا داعي أن يتابعها أو يقلدها العلماء. لكننا نعتقد أن حالة أهل الكهف قد اتبعت الأسلوب العلمي، ما قد يعني إمكانية تقليدها من قبل ذوي الاختصاص، كما سنفصل ذلك لاحقاً. ومما يؤيد هذه التوجه قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ١٨/٩]؛ أي ليس الأمر أنهم كانوا عجباً دون باقي الآيات، حيث إن في صفحات هذا الكون من العجائب ما يفوق قصتهم.

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره لهذه الآية ما نصه: «أي ليس أمرهم عجيباً في قدرتنا وسلطاننا، فإن خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار،

وتسخير القمر والكواكب، وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى وأنه على ما يشاء قادر ولا يعجزه شيء، أعجب من أخبار أصحاب الكهف»[١].

ويقول صاحب تفسير الظلال ضمن هذا السياق: «وإن قصتهم -على غرابتها- ليست بأعجب آيات الله، وفي صفحات هذا الكون من العجائب وفي ثناياه من الغرائب ما يفوق قصتهم»[٢].

وفي ذلك إشارة ضمنيه داله على أن طريقة نوم أصحاب الكهف من آيات الله الباهرة التي اتبعت -والله أعلم- النواميس الكونية والطبية، حالها حال باقي آيات الله في الكون والإنسان، ولم تكن معجزة خارقة كما هو الحال في معجزات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، كما ذكرنا أعلاه، خاصة أن أصحاب الكهف كانوا فتية من أتباع سيدنا عيسى بن مريم، المؤمنين الموحدين، وقد أيدهم الله وحفظهم بهذه الرعاية الإلهية، وسخر من أجلهم النواميس والآيات الكونية لحفظهم وحمايتهم ورعايتهم، وما كانوا أنبياء أو مرسلين بل أولياء صالحين.

وسنذكر أدناه أهم هذه الإشارات العلمية والطبية التي حدثت لهم، وصولاً إلى الطريقة المستنبطة للتنويم والترقيد العميقين التي حفظهم الله بها.

لكي ينام أصحاب الكهف بصورة هادئة وصحية هذه المدة الطويلة من دون تعرضهم للأذى والضرر، وحتى يصبح هذا الكهف الموحش مناسباً لمعيشتهم، فقد وفر لهم الباري عز وجل من الأسباب ما يحقق لهم ذلك، قال تعالى: ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٨/ ١٦].

يقول سيد قطب في تفسيره لهذه الآية: «وهنا ينكشف العجب في شأن القلوب المؤمنة؛ فهؤلاء الفتية الذين يعتزلون قومهم، ويهجرون ديارهم، ويفارقون أهلهم، ويتجردون من زينة الأرض ومتاع الحياة؛ هؤلاء الذين يأوون إلى الكهف الضيق الخشن المظلم، هؤلاء يستروحون رحمة الله، ويحسون هذه

(١) ابن كثير: تفسير القران العظيم، ٣/ ٧١-٧٢.

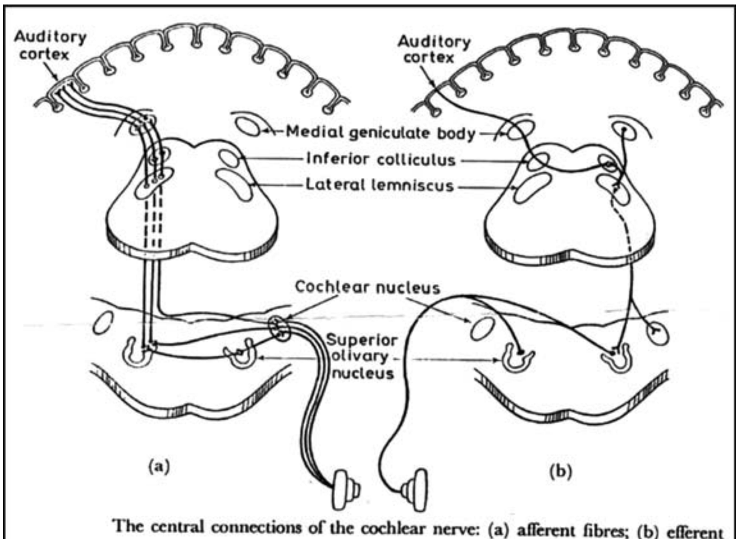
(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن، ٥/ ٨٥.

الرحمة ظليلة فسيحة ممتدة ﴿يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾، ولفظة (ينشر) تلقي ظلال السعة والبحبوحة والانفساح، فإذا الكهف فضاء فسيح رحيب وسيع، تنتشر فيه الرحمة وتتسع خيوطها وتمتد ظلالها، وتشملهم بالرفق واللين والرخاء.. إن الحدود الضيقة لتنزاح، وإن الجدران الصلدة لترق، وإن الوحشة الموغلة لتشف، فإذا الرحمة والرفق والراحة والارتفاق»[1].

ومن أهم الأسباب التي وفرها لهم الله سبحانه وتعالى للمحافظة عليهم مدة رقودهم:

١. تعطيل حاسة السمع: Inhibition of hearing system

فالصوت الخارجي يوقظ النائم، قال تعالى: ﴿فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا﴾ [الكهف: ١٨/١١]، والضرب هنا لغة: بمعنى التعطيل والمنع، أي عطلنا حاسة السمع عندهم مؤقتاً، الموجودة في الأذن والمرتبطة بالعصب القحفي الثامن (فرع السمع) «cochlear nerve» (الشكل رقم ٤).



The central connections of the cochlear nerve: (a) afferent fibres; (b) efferent

الشكل رقم (٤)

الفرع السمعي للعصب الثامن وارتباطاته في المراكز الدماغية

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ٥-٨٦.

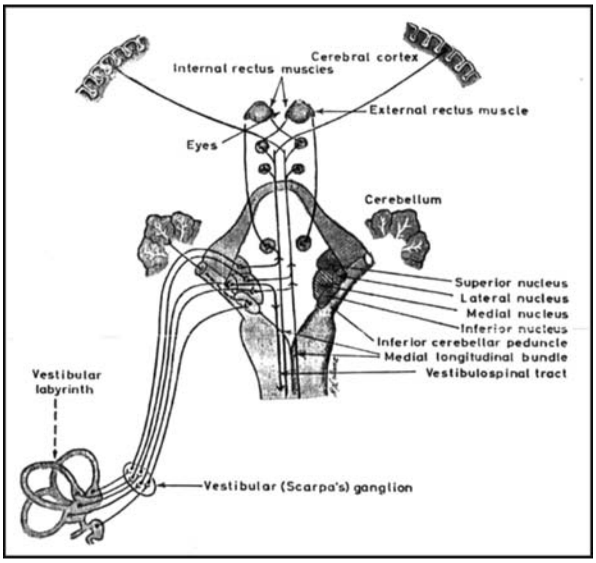
ذلك أن حاسة السمع في الأذن هي الحاسة الوحيدة من بين الحواس الأخرى التي تعمل بصورة مستمرة في جميع الأحوال، وفي النوم كما في اليقظة، وتربط الإنسان بمحيطه الخارجي.

٢. تعطيل الجهاز المنشط الشبكي الصاعد:

Inhibition of ARAS (Ascending Reticular Activating System)

إن هذا النظام الحيوي والضروري للحياة موجود في جذع الدماغ (Brain Stem) ويسيطر على إبقاء حاله اليقظة والوعي استجابة للمحفزات الخارجية والداخلية. ويرتبط هذا النظام بالعصب القحفي الثامن (فرع التوازن) (vestibular nerve).

إن هذا العصب (العصب القحفي الثامن) له قسمان: الأول مسؤول عن السمع (cochlear nerve). والثاني «vestibular nerve» مسؤول عن التوازن في الجسم داخلياً وخارجياً، ويرتبط بجذع الدماغ والجهاز المنشط الشبكي الصاعد (الشكل رقم ٥).



شكل رقم (٥)

الفرع التوازني للعصب الثامن وارتباطاته المتعددة في الدماغ، وجذعه والجهاز المنشط الشبكي الصاعد.

ولذلك قال الباري عز وجل: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾، ولم يقل: (فضربنا على سمعهم)! أي إن التعطيل حصل للقسمين معاً. لذلك فإن تعطيل عمل العصب الثامن من خلال منع توريد المحفزات منه إلى الجهاز المنشط الشبكي سيؤدي إلى:

أ. تعطيل المحفزات الداخلية التي توقظ النائم عادة، بوساطة الجهاز المذكور أعلاه، كالشعور بالألم أو الجوع أو العطش أو الأحلام المزعجة (الكوابيس). وفي حالة تعطيله أو تخديره يدخل الإنسان في النوم العميق، وتقل جميع فعالياته الحيوية، وحرارة جسمه، كما في حالة السبات والانقطاع عن العالم الخارجي، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾، والسبات هو النوم والراحة، و(المسبوت) هو الميت أو المغشي عليه[1].

ب. تثبيط فعاليات أجهزة الجسم المختلفة، ومنها الإحساس بالمحفزات جميعاً، وفي الوقت نفسه المحافظة على أجهزتهم حية تعمل في الحد الأدنى من استهلاك الطاقة.

وهذا ما نعتقد أنه قد حصل لهم خلال فترة النوم الطويلة، فتوقف النمو الجسدي والتقادم بالعمر بالنسبة إليهم (Aging process) مع أن الحياة قد استمرت على منوالها وتقادم الزمن حولهم. ويرى بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾: «أن في هذه العبارة إضماراً يمكن تفسيره بوجهين أو أكثر؛ فمن المشهور أن المضمر هو لفظ يدل على الزمن الذي مكثوا فيه في الكهف، أي إن المعنى المقدر: (وازدادوا لبث تسع سنين)، ويحتمل أيضاً أن تكون هذه الزيادة بالشهور أو الأسابيع أو الساعات، علماً أن جمهور المفسرين قالوا إن المراد بذلك: ثلاث مئة سنة شمسية، وثلاث مئة وتسع سنين قمرية. ويجوز أن يكون المضمر هو لفظ يدل على مقدار ما ازدادوا في العمر؛ لأن عمر أجسادهم حصل فيه توقف، فلم يطابق الزمن الذي لبثوا فيه نائمين، ويكون تقدير المضمر في هذه الحالة -والله أعلم-: (وازدادوا تسعاً في أعمارهم)، وهي تسع ساعات، بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا

(١) راجع مختار الصحاح، ص٢١٤.

﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٨/١٩]، أي نهاراً أو جزءاً من نهار. ومما يعضد هذا التفسير أن الفتية عندما أفاقوا من رقودهم الطويل لم يلاحظوا وجود أي تغير في هيئاتهم وأشكالهم. ومعنى ذلك أنه لم يكن لتقدم العمر عندهم أثر ظاهر عليهم، وهذا التقدير أقرب إلى ظاهر الآية؛ لأن الازدياد هنا مسند إليهم كما هو في نص الآية، وأما في التقدير الأول فإن الازدياد مسند إلى مضمر آخر تقديره: (وازدادوا لبث تسع سنين) في حساب من يحسب بالسنين القمرية»[١].

ومما يؤيد ما ذهبنا إلى استنباطه من أن عمرهم الجسدي الداخلي (البيولوجي) ازداد تسع ساعات فقط، وليس تسع سنوات، خلال لبثهم **٣٠٠** سنة في عمر الزمن الخارجي، هو قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: ٧/١٤٢]. والفائدة من ذكر قوله تعالى: ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾، هو للتأكيد والإيضاح أن العشر المضافة هي ليال وليست ساعات.! فلو سكت الباري عز وجل عند قوله: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ لاحتمل ذلك، ولكن بإكمالها اتضح الأمر؛ أن الزيادة بالليالي، وهذا لم يحصل في ذكر مدة لبث أهل الكهف في قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾، والله أعلم!

٣. المحافظة على أجسامهم سليمةً وحمايتها داخلياً وخارجياً، ومن ذلك:

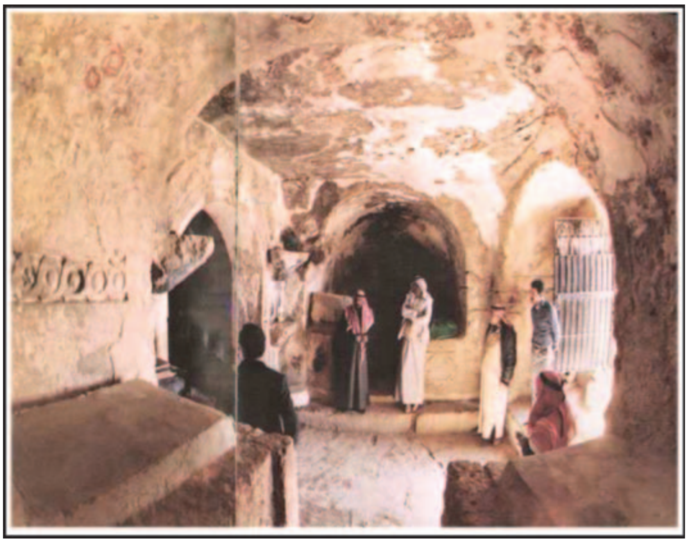
أ. التقليب المستمر لهم في أثناء نومهم، قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨/١٨]، لئلا تأكل الأرض أجسادهم بحدوث تقرحات الفراش في جلودهم، والجلطات في الأوعية الدموية والرئتين أو ذات الرئة الفصي. (Bed sores, Deep Venous Thromboses، Pulmonary Embolism and Hypostatic Pneumonia)

وهذا ما يوصي به الطب التأهيلي حديثاً في معالجة المرضى فاقدي الوعي، أو الذين لا يستطيعون الحركة بسبب الشلل وغيره؛ بإجراء التقليب المستمر كجزء مهم من العلاج.

---

(١) مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص٢٠٧.

ب. تعرض أجسامهم وفَناء الكهف لضياء الشمس بصورة متوازنة ومعتدلة على مدار فصول السنة؛ للمحافظة عليها، ومنعاً من حصول الرطوبة والتعفن داخل الكهف في حالة كونه معتماً، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨/ ١٧]. والشمس ضرورية -كما هو معلوم طبياً- للتطهير بالأشعة فوق البنفسجية (Ultra Violet Rays) أولاً، ولتقوية عظام الإنسان وأنسجته بتكوين فيتامين د (Vitamin D) عن طريق الجلد ثانياً، وغيرها من الفوائد الكثيرة الأخرى. وهذا من آيات الله الكونية، كما قال تعالى في وصف هذه الحالة: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الكهف: ١٨/ ١٧]. يقول القرطبي في تفسيره لهذه الآية: «وقيل: ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ﴾؛ أي يصيبهم يسير منها، مأخوذ من قراضة الذهب والفضة؛ أي تعطيهم الشمس اليسير من شعاعها... إصلاحاً لأجسادهم... فالآية في ذلك أن الله تعالى آواهم إلى كهف هذه صفته، لا إلى كهف آخر يتأذون فيه بانبساط الشمس عليهم في معظم النهار، والمقصود بيان حفظهم عن تطرق البلاء وتغير الأبدان والألوان إليهم والتأذي بحر أو برد»[1]. انظر شكل رقم (٦).



شكل رقم (٦)

الكهف من الداخل وتظهر فيه الصالة المركزية ودخول ضوء الشمس

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٠/ ٣٦٩.

وقد أجاد الباحث الدكتور المهندس يحيى الوزيري في بيان علاقة تصميم الكهف وموقعه الجغرافي بمسار الشمس الظاهري على مدار العام، في بحثه (دراسة ميدانية وشمسية لكهف الفتية في الأردن)، حيث يقول:

«إن كهف الرقيم الواقع في جنوب شرق عمان على خط عرض **٣٢** درجة شمالاً تقريباً، له مدخل واحد يواجه الجنوب الغربي باتجاه يميل أربعين درجة إلى غرب الجنوب.... حيث تشرق الشمس على مدار العام عن يمين الكهف، ولا تدخل من بابه عند طلوعها، وبدءاً من غروب الشمس أي من الساعة **١٢** ظهراً تبدأ أشعة الشمس بالدخول إلى داخل الكهف على هيئة بقع ضوئية صغيرة المساحة، وحتى غروبها في فصل الشتاء وما قبل الغروب في فصلي الربيع والخريف. أما في الصيف فإن الشمس تبدأ في الوصول لبداية عتبة المدخل في الساعة الواحدة ظهراً، وتزداد مساحتها حتى تبلغ ذروتها في الساعة الرابعة من بعد الظهر، ولكن لا تتعدى عتبة المدخل، حيث إنها عمودية، ولا يوجد احتياج لذلك لارتفاع درجة حرارة الجو في ذلك الفصل، في حين أنها تدخل على الصالة المركزية فقط في الشتاء، وفي فصلي الاعتدالين الخريفي والربيعي»[١].

ج. وجود فتحة في سقف الكهف من الجهة الشمالية تصل فَناءه بالخارج بنفق هوائي رأسي (شاهدته بنفسي عند زيارتي للموقع مرتين)، يساعد على تعريض الكهف لجو مثالي من التهوية، وتبديل هوائه بصورة مستمرة، والإضاءة عن طريق تلك الفتحة، مع وجود الفجوة (وهي المتسع من المكان) في الكهف، التي ذكرها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٨/١٧]. مما جعل هذا المكان مناسباً لمعيشتهما إذ إن الكهف من الداخل يتكون من صالة مركزية بارتفاع نحو **٣,٣٥** متر، وتفتح عليها غرفتان (فجوتان) من الجهة الشرقية والغربية للكهف، كما تفتح عليها أيضاً غرفة (فجوة) من الجهة الشمالية، وهي أكبر مساحة وأكثر ارتفاعاً من الغرفتين أو الفجوتين الشرقية والغربية. ويفتح من الفجوة الشمالية إلى خارج الكهف في سقفه قناة تهوية مائلة تؤدي إلى خارج

(١) يحيى وزيري: دراسة ميدانية وشمسية لكهف الفتية في الأردن، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، موقع على الشبكة العنكبوتية www.55a.net

الكهف وتساعد على تهويته من الداخل، وكذلك تعريضه إلى ضوء الشمس ونورها بصورة غير مباشرة. انظر الشكل رقم (٧).



الشكل رقم (٧)
سقف الكهف من الخارج يظهر فيه أعمدة المسجد المقام عليه وفتحة نفق التهوية

د. الصفات الجيولوجية المناسبة لتربة الكهف وأرضيته: إذ يؤكد المهندس الجيولوجي ناظم الكيلاني، ومن خلال فحوصاته المختبرية، أن تربة الكهف ومنطقة الرقيم، تساعدان على صيانة الجسم، وأن هذه التربة تتكون من الهيدروكربونات والكالسيوم والمغنيسيوم، إضافة إلى أحافير النباتات والحيوانات المشبعة بالراديوم، وهذه المواد توجد في معادن اليورانيوم والثوريوم المشعة، والتي من خصائصها اناتة أشعة ألفا وبيتا وجاما، وهذه الأنواع من الأشعة لها تأثير كبير في تعقيم اللحوم والنباتات، والمحافظة عليها، وتحول دون تفسخها. ويعتقد الكيلاني أن وجود هذا النوع من التربة ربما يكون (بالإضافة إلى أشعة الشمس المتناوبة التي تتعرض لها، المذكورة في الفقرة السابقة) من الوسائل التي حفظت أجساد الفتية طوال فترة الرقود دون أن تؤثر فيهم عوامل الهواء والتربة[(١)].

(١) حيدر المؤمن: كهف الرقيم في عمان، مجلة منار الإسلام، ص٣٨-٤٣.

هـ. الحماية الخارجية: بإلقاء الرهبة عليهم، وجعلهم في حالة غريبة جداً وغير مألوفة، لا هم بالموتى ولا بالأحياء ولا بالنيام نوماً طبيعياً (إذ يراهم الناظر كالأيقاظ يتقلبون ولا يستيقظون، كما سيأتي لاحقاً)، بحيث أن من يطلع عليهم يهرب هلعاً من مشهدهم الغريب. وكان لوجود الكلب في باب فِناء الكهف دور في حمايتهم (كأنه يحرسهم)، قال الله تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨/١٨]، إضافة إلى تعطيل حاسة السمع لديهم، كما ذكرنا أعلاه، كحماية من الأصوات الخارجية.

و. حمايته تعالى لأعينهم: ففي قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌۚ﴾ [الكهف: ١٨/١٨]إشارات علمية دقيقة جداً؛ فقد ثبت طبياً:

- أن العين في حالة كونها منفتحة على الدوام (انفتاح الأجفان)، ولأسباب مرضية متعددة، تتعرض للمؤثرات الخارجية، فتدخلها الجراثيم والأجسام الغريبة، مما يؤدي إلى حدوث تقرحات القرنية (مقدمة العين)، وعتمتها (Corneal Opacity)، ومن ثم فقدان حاسة البصر، كما في حالة شلل عضلات الأجفان الناتج عن ضرر العصب السابع الوجهي (Facial Palsy)، أو متلازمة شوجرنز (Sjgren's Syndromes)، حيث يعاني المريض قلة إنتاج الدمع، مع جفاف المقلة، ما يؤدي إلى حدوث تقرحات القرنية، ومن ثم الإصابة بالعمى.
- وكذلك، فإن كون العين في حالة منغلقة على الدوام يؤدي إلى ضمور العصب البصري، لعدم تعرضه للضوء، الذي يمنع العين من قيامها بوظيفتها، إذ إنه من المعروف في علم وظائف الأعضاء (علم الفسلجة) أن أي عضو كان من أعضاء الإنسان أو أجهزته، يصاب بالضمور والموت التدريجي إن لم تهيأ له الأسباب للقيام بوظيفته الطبيعية (Disuse Atrophy)، ودليل ذلك أن المسجونين لفترات طويلة في الأماكن المظلمة يصابون بالعمى حتى لو كانت أجفانهم منفتحة؛ لعدم وجود الضوء أصلاً.
- أما في الحالة الطبيعية (اليقظة) فإن أجفان الإنسان ترمش وتتحرك بصورة دورية لاإرادية على مقلة العين، تعينها الغدد الدمعية المفرزة للسائل

الدمعي النقي، الذي يغسل العين ويحافظ عليها من المؤثرات الخارجية الضارة، إن هذه العملية المركبة تحافظ على سلامة العين. فالله سبحانه وتعالى الذي حافظ على أجسادهم وجلودهم من التلف بالتقلب المستمر مع التعرض المناسب لضوء الشمس، كما ذكرنا سابقاً، وقد حفظ عيونهم بهذه الطريقة العلمية من العمى؛ فقد قال في محكم كتابه: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨/١٨]، ولم يقل: (وتحسبهم أمواتاً وهم رقود)؛ لأن إحدى علامات اليقظة حركة رمش أجفانهم، وقد يكون في هذا أيضاً -والله أعلم- السر في إلقاء الرهبة من منظرهم كما ورد في قوله تعالى: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨/١٨]، فهذا الوضع الغريب وغير المألوف حيال كونهم ليسوا موتى ولا مستيقظين ولا نائمين نوماً طبيعياً (لأن النائم لا ترمش عينه)، هذه الهيئة -والله أعلم- هي التي جعلت الناظر في حال دخوله الكهف والاطلاع عليهم يهرب فزعاً، ويمتلئ قلبه رعباً من منظرهم، وليس الفرار منهم بسبب طول شعورهم وأظفارهم وتغير شكلهم؛ فهذا بعيد، يقول القرطبي في تفسيره ما نصه: «لأنهم لما استيقظوا قال بعضهم لبعض: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، ودل هذا على أن شعورهم وأظفارهم كانت بحالها.. والصحيح في أمرهم أن الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها لتكون لهم ولغيرهم فيهم آية؛ فلم يبلَ لهم ثوب ولم تغير صفة... وأيقظهم الله من نومهم على ما كانوا عليه من هيئاتهم في ثيابهم وأحوالهم»(١).

- أما أن أجفانهم كانت ترمش وتتحرك (وليست مغلقة أو مفتوحة على الدوام كما ذكرنا) بمعنى أن عيونهم كانت تتعرض للضوء والنور نهاراً، وتمارس بعض وظائفها، فإنه قد ثبت علمياً أن في هذه الحركات العينية والرمشية اللاإرادية للأجفان، فائدة للمحافظة على حاسة السمع لديهم من التعطيل المؤدي إلى الصمم؛ لعدم ممارسه وظيفة المراكز السمعية وأعصابها لوظائفها، إذ إن «المسارات العصبية للسمع قد تضمر أو تختفي وظائفها

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ١٠/ ٣٧٣ -٣٧٤.

مع عدم استعمالها الناشئ عن الصمم، ويتناسب هذا الضمور طردياً مع طول مده الصمم، وعكسياً مع الاعتماد على حاسة البصر كحالة تعويضية.... أي قطعاً أنه يوجد هناك تحفيز ما لهذه المسارات المختصة بالسمع عن طريق تلك الإشارات البصرية، رغم تباعد واختلاف المسارات العصبية للحاستين تشريحيا»[(١)].

٤- الكلب حيوان تجريبي:

جرت على الكلب أحوال أصحاب الكهف نفسها، وفي ذلك إشارة احتمالية إلى أنه يصلح لإجراء التجارب العلمية عليه كنموذج تجريبي في حالة القيام بأبحاث طبية مستقبلاً ،كالتجارب على الجهاز المنشط الشبكي في الدماغ، المسؤول عن تنشيط الوظائف الحيوية، ومنها الوعي واليقظة بواسطة تثبيط عمله باستعمال التقنيات الكهربائية الحديثة؛ كالتأثير على العصب القحفي الثامن خاصة فرع التوازن. علماً أن ذكر الكلب لم يرد في الأخبار التي وردت قبل الإسلام وتتحدث عن قصة أصحاب الكهف، بل تفرد القرآن الكريم بذكره كمعلومة أصيلة، وربما للسبب المذكور أعلاه. علماً أن عدم ذكره لا يؤثر في سياق القصة وأحداثها.

خلاصة القول في قصة أهل الكهف

إننا نعتقد أن طريقة رقودهم هذه قد اتبعت النواميس العلمية والطبية بقدرته وتدبيره عز وجل، والتي أشار الله تعالى إليها في كتابه في ثنايا قصتهم بصورة مباشرة وغير مباشرة، خلاصتها:

١- أن الله تعالى هيأ لهم كل أسباب الحماية الطبيعية والطبية.

٢- عطل حواسهم عن التأثر بالمحفزات الداخلية والخارجية، بالضرب على آذانهم (العصب القحفي الثامن)، مؤدياً إلى نومهم العميق

---

(١) إسلام محمد الشبراوي: إشراقات علمية لآيات قرآنية في الأنف والأذن والحنجرة، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (موقع على الشبكة العنكبوتية)، نشر في تاريخ ٢١-١٢-٢٠٠٥ www.55a.net

بالتعطيل المؤقت للجهاز المنشط الشبكي في جذع الدماغ المسؤول عن حالة اليقظة والوعي.

٣- جعل أجهزتهم وعملياتهم الأيضية (البيولوجية الحياتية) تعمل في الحد الأدنى (أقل شيء) من استهلاك الطاقة، مستفيدين من الاحتياط الموجود عندهم (التغذية الداخلية)، فلم يحتاجوا إلى تغذية خارجية تؤدي إلى تحفيز الجهاز الهضمي والبولي الذي لم يحدث عندهم، ولكنهم شعروا بالجوع الشديد بعد استيقاظهم!!.

٤- جعل أشعة الشمس تدخل كهفهم بصورة متوازنة وترعى أجسادهم وكهفهم على مدار فصول السنة.

٥- قلب أجسادهم، فحفظها من التلف وتقرحات الفراش.

٦- جعل أعينهم ترمش، فحافظ عليها من العمى.

٧- جعل فوق الكهف فتحة لتغيير الهواء بصورة متواصلة وللإنارة.

٨ - حماهم كذلك من دخول أحد عليهم والعبث بهم...

٩- وقد ذكر الكلب في ثنايا قصتهم عدة مرات كقرينة للإفادة منه كحيوان تجريبي للتوصل إلى معرفة هذه الطريقة المبتكرة باستعمال التقنيات الحديثة في هذا العصر قبل تطبيقها على الإنسان.

١٠- وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله تعالى، وقد يكشف عنه العلم مستقبلاً!! وذلك في إشارات قرآنية لنا معاشر الأطباء والعلماء المسلمين في عصر العلم والتكنولوجيا، للتوصل إلى طريقة مشابهة أو مقاربة لحالتهم للترقيد القصير والطويل، ومن دون الحاجة إلى استعمال الأدوية المخدرة!! والله أعلم بمراده.

الخاتمة والتوصيات

نخلص مما سبق أن القرآن الكريم -فضلاً عن كونه أساساً كتاب هداية وإيمان وإرشاد ومنهاج حياة لتكوين الفرد الصالح والمجتمع الفاضل- هو أيضاً

كنز للعلوم ومفتاح لها، ويشجع على العلم والمعرفة، ويثني على العلماء ويهديهم إلى بحوث جديدة كل حسب اختصاصه، إذا أحسنت دراسته وفقاً لقواعد اللغة العربية وعلوم التفسير، مع الأخذ بزمام العلوم التجريبية وما تتوصل إليه المعارف الحديثة من حقائق وتقنيات.

والمسلم أولى الناس للحصول عليها والإفادة منها؛ لأنه يستخدمها ويسخرها للخير وفائدة البشرية وسعادتها، وليس لضررها والإساءة إليها كما حصل ويحصل من قبل الحضارة المادية الغربية وإفرازاتها التي انعكست سلباً على الفرد والمجتمع وما زالت في معظم مناحي الحياة.

لذلك، فإن من أهم الوسائل للدفاع عن القرآن (في عصر العلم والمعرفة) إظهار الجانب العلمي عامة، والتطبيق العملي منه خاصة، وبذلك ننتقل من الدفاع النظري إلى الدفاع العملي، والمقصود به إظهار الجوانب العملية في التحدي القرآني الواضح للذين يخالفونه أو يهاجمونه جهلاً منهم أو حقداً عليه لتشويه صورته ومقاصده الربانية الإنسانية النبيلة.

وللحصول على ذلك نذْكُر أدناه أهم الأهداف والوسائل المطلوبة لتحقيقها، والتي تتطلب تضافر الجهود على مختلف الجهات الرسمية والشعبية، وهي:

الأهداف

١- خدمة القرآن الكريم وعلومه في مجالات الحياة عامة، ومجال العلوم الطبية والكونية خاصة.

٢- إمكانية الاستفادة من العلوم الموجودة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وتوظيفها لفائدة البشرية.

٣- الدعوة إلى الله وكتابه المجيد عن طريق العلم وبالحكمة والموعظة الحسنة.

الوسائل

١- إتقان اللغة العربية لكونها لغة القرآن ولغة العلم (اللغة الكونية)، وتسهيل تعلمها وإتقانها للمسلمين، من العرب وغيرهم، وبالوسائل

المناسبة لمتطلبات العصر، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٢/٢].

٢- الإحاطة والإلمام بالعلوم الكونية والتجريبية بجميع تخصصاتها العلمية، ومحاولة الحصول على جميع التقنيات ووسائل المعارف الحديثة.

٣- الإفادة من الإمكانيات المتاحة في الجامعات والمعاهد والمؤسسات العلمية ومراكز البحوث لتحقيق الأهداف المذكورة أعلاه.

٤- تأسيس مراكز بحوث خاصة بموضوعات الإعجاز الطبي والعلمي في القرآن والسنة، والتي تعنى بالنواحي المعملية والتطبيقية.

تدريس مادة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في المدارس والجامعات (حسب تخصصاتها)، وتشجيع الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) في تناول موضوعاتها.

الفصل الرابع

السمع والأبصار والأفئدة في القرآن و الطب

- المقدمة
- الناصية (مقدمة الفص الأمامي)
- مراكز السمع والفهم والإبصار الدماغية
- الصمم والعمى الخارجي والصمم والعمى الداخلي (الدماغي)
- توظيف السمع والبصر الدماغي (العقلنة)
- الكافرون والانتقائية في توظيفهم لمراكزهم الدماغية السمعية والبصرية
- الخلاصة

صفحة بيضاء

رقم 130

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد..

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨/١٦]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٨/٢٣]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩/٣٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٦٧/ ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٤٦/ ٢٦].

جعل وأنشأ تعني: صيّر، والأفئدة جمع فؤادٍ، من فأد أي اتقد. وهي القوى العقلية والعاطفية كالنطق والتفكر والحفظ والتذكر والأحاسيس، ومركزها الدماغ.

ولقد ذكر القرآن الكريم ترتيب هذه الحواس **بصورة مطابقة لمواقعها التشريحية في الدماغ، وكذلك من ناحية بدء وظيفتها وعملها:**

١ . **فمن الجهة الوظيفية** تبدأ حاسة السمع بالعمل في الجنين منذ الشهر الخامس من حياته؛ (أي قبل ولادته بنحو أربعةِ أشهر)، والإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يبدأ بسماع الأصوات وهو في رحم أمه، فجميع الحيوانات لا تبدأ بسماع الأصوات إلا بعد ولادتها بفترة!

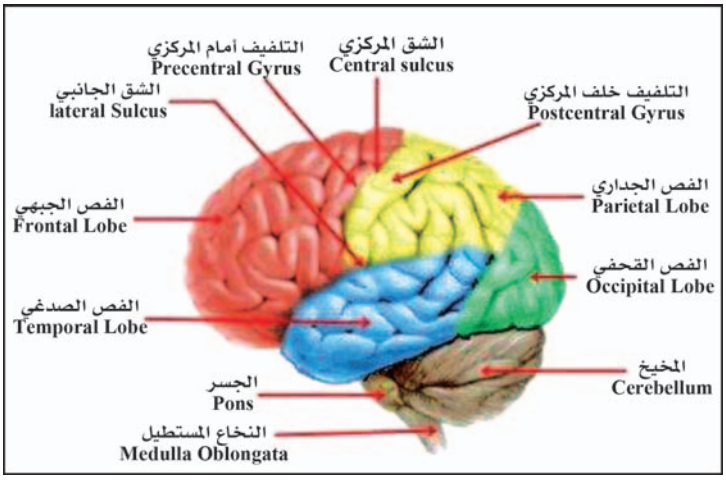
أما حاسة البصر فتبدأ بالعمل منذ الشهر الثالث بعد الولادة؛ إذ إنها تكون

ضعيفة جداً أو معدومة عند الولادة، ويصعب على الوليد تمييز الضوء من الظلام، ولا يرى إلا صوراً مشوشة وتتحرك عيناه دون أن يتمكن من تركيز بصره على الجسم المنظور، وفي الشهر السادس من عمره يتمكن من تفريق وجوه الأشخاص. إنَّ الوليد في هذا السن يكون بعيد البصر، ثم يستمر بصره في النمو والتطور حتى السنة العاشرة من عمره.

فمن المعلوم وظيفياً (فسلجياً) أن المنبهات والمحفزات التي ترد إلى أي طريق عصبي حسي تحفزه على النمو والتطور والنضج. وبهذه الطريقة يتحفز الجهاز العصبي السمعي على نضجه وأداء وظيفته منذ الشهر الخامس الجنيني ولا يحفز الجهاز العصبي البصري إلا بعد ولادة الوليد، لكونه داخل رحم أمه يكون في ظلمات ثلاث، كما جاء ذلك في القرآن الكريم.

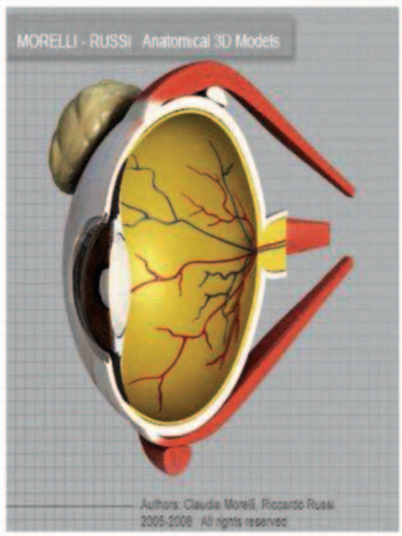
أما القوى العقلية والعاطفية فتتكون تدريجياً من السنة الثانية من عمر الوليد، ونرى -والله أعلم- أن في ترتيب وتتابع كلمات السمع والأبصار والأفئدة في الآيات الكريمة إشارة ضمنية إلى ظهور وظيفة حاسة السمع أولاً التي تسبق في العمل حاسة البصر التي تسبق بدورها ظهور القوى العقلية في الوليد.

٢. **أما من الجهة التشريحية**: فإن مركز السمع يقع في الفص الدماغي الصدغي، ومركز البصر خلفه في الفص الدماغي القفوي في مؤخرة الدماغ. (انظر الشكل أدناه).

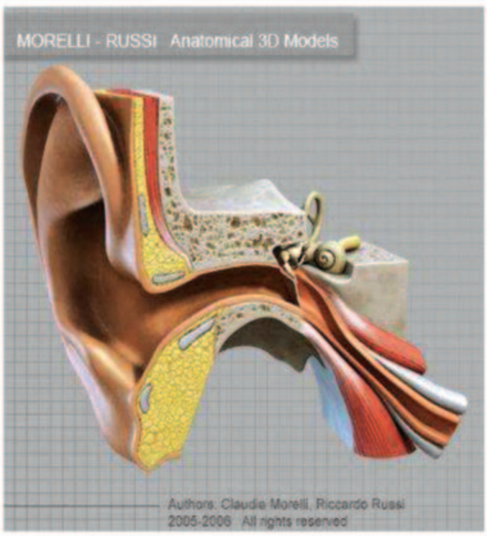


مركز البصر في الفص القحفي (القفوي)

أما بالنسبة إلى العين والأذن، فنجد أن الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكرهما يتقدم ذكر العين على الأذن دائماً، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٧٩]، وقال تعالى: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٥/ ٤٥]؛ فإذا كان السمع يتقدم البصر في الآيات السابقة فإن العين تتقدم الأذن في هذه الآيات. فلو كان التقديم للتشريف فقط لتقدمت الأذن على العين كما تقدم السمع على البصر؛ لأن الأذن أداة السمع، والعين أداة البصر، فلقد وجد العلماء أن مراكز السمع داخل المخ البشري يتم فيها إدراك المسموعات وعقلنتها، ومراكز البصر الدماغية كذلك يتم فيها إدراك المبصرات وعقلنتها، وأداة مركز السمع الأذن التي تجلب إليها الأصوات، وأداة مركز البصر العين التي تجلب إليها الصور.



صورة تشريحية للعين
(أداة البصر الخارجي)



صورة تشريحية للأذن
(أداة السمع الخارجي)

ومع أن العين في الوجه تتقدم الأذن في رأس الإنسان، فإن مركز السمع يتقدم مركز الإبصار في دماغه تشريحياً، وهنا تظهر المعجزة العلمية الباهرة؛ فالترتيب المكاني للسمع والبصر في الآيات يأتي وفقاً للترتيب المكاني التشريحي لمراكز السمع والبصر في دماغ الإنسان، وكذلك الحال بالنسبة إلى العين والأذن تشريحياً؛ فالعين تقع في مقدمة الوجه أمام الأذن، كما هو ملخص في الجدول الآتي.

وجه المطابقة	الحقيقة العلمية	الظاهرة القرآنية
المطابقة متحققة	العملية الحسية للسمع والبصر تتكون من أعضاء للاستقبال (العين والأذن) مركز السمع في الفص الصدغي، ومركز الإبصار في الفص الخلفي.	القرآن يفصل بين أداة الحس: (العين والأذن) وقوة الإدراك (السمع والبصر).
المطابقة متحققة	ما العين والأذن إلا أدوات لنقل الإشارات الحسية والسمعية والبصرية إلى حيث يتم إدراكها وفهمها داخل مراكز السمع والبصر في المخ.	العين والأذن تشيران إلى الأعضاء الحسية، أما سمع أو بصر فإنهما يشيران إلى معان حول العقل والفهم والتدبر أو الإدراك العاقل.
المطابقة متحققة	العين تقع أمام الأذن في صنع الله في رأس الإنسان.	العين تتقدم على الأذن في كلام الله.
المطابقة متحققة	مركز السمع يتقدم على مركز البصر داخل المخ البشري.	السمع يتقدم على البصر في كلام الله غالباً.

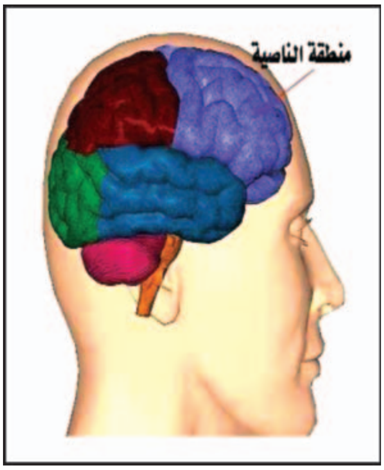
أما بالنسبة إلى الأفئدة تشريحياً، فنجد أن ذكرها يأتي في مكان ثابت بعد السمع والبصر في كل آيات القرآن، ومعظمها بصيغة الجمع، والفؤاد لغة من فأد؛ أي توقد، ويأتي في معاني العواطف والغرائز والأحاسيس؛ كقوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ١٤/٣٧]، وقوله تعالى: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ

أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٢٨/ ١٠]، مما يجعل الفؤاد مرتبطاً بالسمع والبصر ارتباطاً عضوياً وله علاقة بالأحاسيس والعواطف. ولكن، هل يمكن تحديد مكان الفؤاد بأنه في عمق (داخل) المخ من خلال هذه الآيات؟ الجواب نعم، وذلك لوجود الفؤاد في مكان ثابت بعد البصر، وليس بعد مركز الإبصار من الخلف، وهذا يحتم الاتجاه إلى عمق المخ، حيث اكتشف العلماء مركز الأحاسيس والعواطف هناك في جهاز يسمى الجهاز العاطفي (Limbic System).

مقدمة الفص الأمامي في الدماغ (الناصية):

ما المنطقة الدماغية البشرية العليا التي تجعل الإنسان أهلاً للتكريم والتكليف واتخاذ القرار والقدرة على الاختيار؟.

هنا في مخ الإنسان مكان تحقق فيه هذه القيمة البشرية العليا، وهو أهم منطقة فيه مقدم الفص الجبهي في مخ الإنسان (الناصية/ Pre-frontal lobe) (انظر إلى الشكل).



وقد اكتشف العلماء أن له علاقة بالاختيار واتخاذ القرار، لكونه مركز القابليات الذهنية

العليا والذكاء العميق والمنطق، والإنسان وحده الذي يمتلك مثل هذا الجهاز، وقد فضله الله على المخلوقات كافة لامتلاكه هذه الخاصية، قال

تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٧٠].

وفي القرآن الكريم إشارة إلى مكان مقدمة الفص الأمامي (الجبهي) أو الناصية ووظيفتها، قال تعالى:

- ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ١١/ ٥٦].
- ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ٩٦/ ٩-١٦]، والناصية في اللغة والتفسير هي مقدم الرأس عند منبت الشعر أو منطقة الجبهة.

والآية الأولى (سورة هود) تقرر أن الناصية هي مكان السيطرة العليا والقيادة للإنسان. والآية التالية (سورة العلق) تبين أن الناصية هي منطقة الاختيار واتخاذ القرار، فناصية الكافر كاذبة خاطئة، ومن مفهوم المخالفة فإن ناصية المؤمن صادقة مصيبة!

مراكز السمع والفهم والإبصار الدماغية:

قال تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ٢/ ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢/ ١٧١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٦/ ٣٩]، (الأبكم: من لا يفقه الكلام المسموع).

فمن الناحية التشريحية: عندما يكون الرأس مستوياً تتوزع من الأمام إلى الخلف المراكز العصبية الدماغية التي تتحكم في سماع الأصوات وفهمها ورؤية الأشياء؛ فمركز سماع الأصوات يوجد في الفص الدماغي الصدغي، وتَعطُّله أو تلفه يسبب الصمم، ومركز فهم الأصوات يوجد خلفه في الفص الدماغي الجداري (منطقة فرنيكا) وتعطُّله أو تلفه يعني البكم (عدم فهم الكلام المحكي)،

والمراكز الدماغية البصرية موجودة وراء الفص الدماغي القحفي، وتعطُّله أو تلفه يسبب عمى البصر. هذا ما كشفه علم تشريح وظائف أعضاء الدماغ في القرن العشرين، وما تضمنته بصورة خفية الآيات الكريمة أعلاه التي تقدمت فيها كلمة "صم" على كلمة "بكم"، وكلمة "بكم" على كلمة "عمى"، فمركز فهم الكلام المسموع يتوسط دائماً مركز رؤية الأشياء الذي يحده من الخلف، ومركز سماع الأصوات الذي يحده من الأمام عندما يكون رأس الإنسان في الوضع الطبيعي.

ولأن الموصوفين بـ(**صم بكم عمي**) هم الكفار الذين يتمتعون بسمع جيد وبصر حاد ولسان مبين، فإن كلمة (صم) هنا تعني تعطيل عقلنة السمع، وكلمة (عمي) تعني تعطيل عقلنة البصر، فتكون كلمة (بكم) آفة عقلية خاصة بعقلنة البيان والفهم، ومما يؤيد هذا التفسير قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [النحل: ١٦/ ٧٦]؛ إذن فكأن كلمة (أبكم) تشير إلى منطقة البيان بين مركز السمع ومركز البصر في الدماغ (منطقة فرنيكا)، وفي حالة تعطيلها تؤدي إلى عدم الفهم للكلام.

وفي يوم القيامة يحشر الله سبحانه وتعالى الكافرين على وجوههم ناكسي رؤوسهم، أعاذنا الله من ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢/٣٢]، فهم في وضع الرأس المنكوس، وعلى وجوههم، فيكون الدماغ بذلك تشريحياً مؤخرته (الفص القفوي الذي فيه المركز البصري) في المقدمة، أما مراكز الدماغ الأخرى فتصبح وراءه، وهي بالترتيب مركز البيان والفهم (بكم)، ومركز السمع (صم)، فيصبح مركز البصر في المقدمة، ومركز السمع في المؤخرة، ومركز الفهم والبيان بينهما في الوسط في كلتا الحالتين، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٩٧].

وهذه إشارة في منتهى الدقة والصواب، مما يحقق الخريطة التشريحية الدماغية للإنسان حتى يوم القيامة في ذلك الموقف الصعب المهين للكافرين أمام رب العالمين، نسأله تعالى العفو والعافية، وأن يجنبنا هذا الموقف المخزي، ويجعلنا من أصحاب الجنة الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

السمع والأبصار:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ١٠/٣١]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٦/ ٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٤٦/٢٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَـٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ٦/٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٤١/٢٢]، وقال تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٢/٧]، وقال تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢/٢٠]، وقال تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾ [النحل: ١٦/١٠٨]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٤١/ ٢٠].

وفي دراسة الآيات الكريمة السابقة نجد أنه:

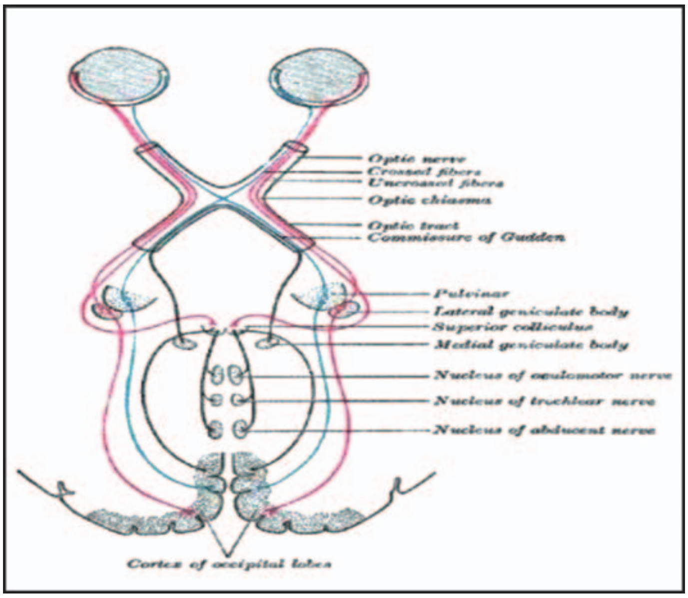
١- ما اجتمعت كلمتا السمع والأبصار في القرآن الكريم إلا وتقدمت كلمة السمع على كلمة الأبصار، لأن حاسة السمع أهم بالنسبة إلى

الإنسان من حاسة البصر في تنمية القدرات العقلية، ولأن حاسة السمع تظهر في الجنين وتبدأ بالعمل قبل حاسة البصر، حيث تبدأ خلايا السمع الأولية بالظهور في الجنين منذ الأسبوع الثالث من حياته، وبالعمل في الشهر الخامس (قبل ولادته بأربعة أشهر) أما خلايا حاسة البصر فتبدأ بالظهور منذ الأسبوع الرابع من حياة الجنين وتبدأ بالعمل منذ الشهر الثالث بعد الولادة.

٢- ومن الناحية التشريحية فإن مركز السمع موجود في الفص الصدغي الدماغي قبل مراكز البصر الدماغية التي توجد في مؤخرة الدماغ في الفص القفوي.

٣- نلاحظ أن القرآن الكريم في الآيات السابقة وغيرها يفرد حاسة السمع ويجمع حاسة البصر (الأبصار)، والتفسير الطبي لذلك أن حاسة السمع تعمل كمنظومة واحدة في الإنسان؛ حيث إن المركز السمعي الدماغي في الفص الصدغي يغذي في كل جهة كلتا الأذنين، بمعنى أن كل أذن تستلم وتورد الإيعازات السمعية إلى كلتا الجهتين، فإذا تعطل المركز السمعي في إحدى الجهتين فإن الجهة الأخرى تغذي الأذن التي حصل فيها العطب مركزياً.

أما بالنسبة إلى المراكز البصرية فهي متعددة، وتبلغ أكثر من أربعين مساحة بصرية دماغية في مؤخرة المخ (الفص القفوي)، ويعمل كل منها بصورة مستقلة ليؤدي وظيفة معينة في حاسة البصر، ويتغذى بألياف أعصاب بصرية مستقلة تنتشر في عمق الدماغ من مقلة العين في الأمام إلى مؤخرة الدماغ مروراً بالفصين الصدغي والجداري. كما يتمثل كل نصفٍ من نصفي العين الواحدة على جهة الدماغ المعاكسة لها. فإذا ما أصيب الدماغ بمرض في أحد نصفيه فإن المصاب يفقد البصر في نصفي عينه التي في الجهة المعاكسة لجهة الإصابة. (انظر الشكل).



المنظومة البصرية للإنسان

فضلاً عن أن الشخص الذي يتحدث مع شخص آخر ويحصل هناك كلام جانبي فإنه لا يسمعه ولا يستوعبه، في حين أن الناظر إلى شيء معين ضمن ساحته البصرية فإنه يستطيع أن يرى عدة أشياء أو مناظر ثابتة أو متحركة في الوقت نفسه.

من أجل ذلك فقد أفرد القرآن الكريم حاسة السمع (السمع أو سمعاً)، وجمع حاسة البصر (الأبصار أو أبصاراً)، والله أعلم بمراده.

الصمم والعمى الخارجي والصمم والعمى الداخلي (الدماغي):

في آيات كثيرة من القرآن الكريم يتعدد الخطاب ويتنوع الأسلوب القرآني في بيان نعمتي السمع والبصر.

فبوجود هاتين الحاستين وسلامتهما يكون الإنسان مدركاً وعاقلاً، ومميزاً بين الخير والشر والحق والباطل، ومأموراً بالبحث والنظر في الكون بتأمل وتدبر.

فمن وراء السمع الظاهر والأبصار الظاهرة هناك سمع آخر وأبصار أخرى يسمع بها المؤمنون ويبصر بها الموقنون، ومن عداهم من الكافرين والمنافقين لا يسمعون ولا يبصرون! فقد عطّلوا ما وهبهم الله من أدوات الفهم والإدراك والتدبر. فنعى عليهم ذلك بقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ٧/١٧٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤٢ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس: ١٠/٤٢-٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد: ٤٧/١٦].

تتألف آلة السمع من الأُذنينِ وعصبي السمع والمراكز الدماغية، إذ تتحول الموجات الصوتية إلى مدلولات عقلية، إن كل إصابة في الأُذنين وعصبي السمع تعطي ما يسمى بالصمم الخارجي، وكل إصابة في المراكز الدماغية المتخصصة في تسجيل الصوت وعقلنته؛ أي فهمه وإدراكه تعطي ما يسمى بالصمم الدماغي، ولم يفرق علم وظائف الأعضاء بين الصمم الخارجي والدماغي إلا في القرن العشرين، أما القرآن الكريم فقد فرّق تفريقاً واضحاً بين الصمم الخارجي (صمم الأذن) والصمم الدماغي كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ - أي المصابون بالصمم الدماغي- ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٧/١٠٠].

عمى البصر وعمى البصيرة:

تتألف آله النظر من العينين وعصبي النظر والمراكز الدماغية الموجودة في مؤخرة الدماغ؛ إذ تتحول الموجات الضوئية إلى صور مرئية، ولم تُكشف المراكز الدماغية المتخصصة بالبصر إلا في القرن العشرين، وتعطلها أو تلفها ينتج عنه ما يسمى بالعمى الدماغي أو عمى البصيرة، وقد أشار إلى ذلك قوله

تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ (يعني بأن العينين وعصبي النظر سليمان) ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يعني بأن مراكز البصيرة والدماغية معطلة)، ويشرح ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ٧/ ١٧٩].

توظيف السمع والبصر الدماغي (العقلنة):

إن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي كرمه الله وفضله على جميع مخلوقاته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ١٧/ ٧٠]، وخلق له للفهم والإدراك منطقة في مقدمة دماغه (الناصية) لاتخاذ القرار حسب اختياره، وهداه الطريق المستقيم عن طريق الرسل والأنبياء والكتب السماوية، ويسّر له ذلك[١].

إن مواقف الناس باستعمال منظومة الوسائل المعرفية والمراكز العقلية العليا (وخاصة المنطقة الموجودة في مقدمة الفص الأمامي للدماغ)، تجاه حقائق الإيمان وآيات الله القرآنية والكونية **تنقسم ثلاثة أقسام**:

١. **المؤمنون**: يوظفون هذه المنظومة بالطريقة الصحيحة، ويستفيدون من مراكزهم الذهنية والعقلية العليا في فهم الحقائق والآيات، ويفتحون لها الجهاز ويحللون المعطيات الواردة، ويتوصلون بعد فهمها إلى الانقياد لأوامر الله تعالى والإذعان لها واتباعها، فإن الله عز وجل في حالتهم هذه سيزيدهم فهماً وعلماً وإيماناً، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ٤٧/ ١٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٥٠/ ٣٧]. يقول صاحب صفوة التفاسير في تفسير هذه الآية: «تذكرة وموعظة لمن كان له عقل يتدبر به، أو أصغى إلى الموعظة وهو حاضر القلب ليتذكر ويعتبر. وقال الضحاك: العرب تقول: ألقى فلان سمعه إذا استمع بأذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب»[٢].

---

(١) محمد جميل الحبال: الطب في القرآن، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، ص ١٠-١١.
(٢) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار القلم، بيروت، الطبعة الخامسة، ٣/ ٢٤٧.

٢. **الكافرون**: يغلقون على هذا الجهاز ولا يستفيدون من معطياته ونعمه بإرادتهم، ويبتعدون عن كل ما يهديهم إلى الحق وفهم الآيات القرآنية والكونية، ويكابرون ويمنعون بإرادتهم واختيارهم من دخول هذه المعلومات لإدراكها، وهم على مقدرة من ذلك، بدليل أنهم يفهمون الأمور الدنيوية الأخرى على أحسن وجه، كذلك يسمحون بإدخال الأمور التي تهواها أنفسهم؛ كالأمور الشركية الخالية من التوحيد الخالص، إذ يسمحون بإدخالها وفهمها واتباعها خلافاً للحقائق الإيمانية، ويغالطون بأنهم يتبعون أهواءهم و ما وجدوا عليه آباءهم، فإنهم بذلك يصابون بالصمم والعمى الداخلي، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس: ١٠/ ٤٢-٤٣]، فإنهم وبالتدرّج سيخسرون تنشيط هذه المراكز الذهنية العليا من سمع وبصر، فيصابون بالأمراض النفسية والعضوية لعدم الاستفادة منها وعدم توظيفها على الوجه الصحيح في الحياة الدنيا، فضلاً عن الخسران الكبير في الحياة الآخرة، قال تعالى: ﴿لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٥/ ٣٣].

فالكافرون يعرضون عن الإيمان بإرادتهم وباختيارهم، والآيات الآتية تدل على هذا الإنكار والصدود؛ قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٢٧/ ٨٠-٨١].

- ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾ [الأعراف: ٧/ ١٩٣].
- ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء: ١٧/ ٤٦].
- ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾ [الكهف: ١٨/ ١٠١].
- ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [التوبة: ٩/ ١٢٧].

وذكر الصابوني في تفسيره لهذه الآية: «ثم انصرفوا من المجلس متسللين إلى منازلهم خوف الفضيحة؛ بسبب أنهم قوم لا يفهمون القرآن فهماً واعياً ومقبولاً، ولا يدركون الحق لعدم تدبرهم أو محاولتهم لفهمه وتدبره. فإن الله تعالى في هذه الحالة قد صرف قلوبهم عن الخير والرشد والهداية والإيمان»(1).

• ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنعام: ٦/ ٢٥-٢٦].

وجاء في تفسير هذه الآية: «والمشركون ينهون الناس عن سماع القرآن، ويبتعدون هم بأنفسهم عنه، وما يشعرون بضرر كفرهم على أنفسهم)(2).

• ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾ [الجاثية: ٤٥/ ٧-٨].

٣. **المنافقون**: وهم الأخطر؛ لأنهم كاذبون؛ يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، إذ إنهم يوظفون هذه المراكز ويسمحون للمعلومات بالدخول إليها ويفهمونها، ولكن، لمرض في قلوبهم ولاتباعهم أهواءهم، فإنهم بدلاً من الإيمان والانقياد لها كما في حالة المؤمنين فإنهم يتخذون القرار المعاكس داخلياً وهو الكفر بها، ويظهرون للمجتمع الإيمان ويبطنون العكس. قال تعالى في وصفهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ٢/ ٨-١٠].

انظر إلى دقة التعبير القرآني في قوله تعالى في حق المنافقين: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ إذ بسبب نفاقهم؛ أي كذبهم بإظهار الإيمان وإضمار الكفر، استحقوا العذاب الأليم. في حين قال سبحانه في حق الكافرين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

(١) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ص٢٠٨.
(٢) المصدر نفسه، ص١٣١.

وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [البقرة: ٢/٦-٧]، فالكافرون ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ والمنافقون ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فذنبهم أعظم وخطرهم أكبر، وهذا ما ذكرته الآيات القرآنية في بدايات سورة البقرة، حيث ذكرت المؤمنين في أربع آيات؛ وهي: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ٢/١-٥]، وذكرت الكافرين في آيتين فقط.! (٦-٧ السابق ذكرهما)، أما المنافقون فقد خصص لهم ثلاث عشرة آية! (الآيات ٨-٢٠).

وهؤلاء المنافقون كالكافرين؛ يضلهم الله ويطبع على قلوبهم، ويعانون أيضاً الأمراض النفسية والعضوية الدماغية وغيرها؛ لعدم توظيف مراكزهم الدماغية العليا بالطريقة الصحيحة. وعذابهم وخزيهم أكبر من الكافرين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ٤/ ١٤٥].

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما الفرق بين الكافرين والمنافقين في هذه الحالة؟. والجواب أن الكافرين حالتهم كما ذكرناها سابقاً، أما المنافقون فكما ذكرنا: فإن الأمور الإيمانية يفهمونها ويدخلونها إلى مراكز السمع والبصر الدماغي، ويعقلونها، ولكن لمرض في قلوبهم ولاتباع أهوائهم وشهواتهم فإنهم ينكرونها ويكفرون بها داخلياً (باطنياً)، ويظهرون الإيمان والتصديق بها ظاهراً. قال تعالى:

- ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ٢/ ١٤].
- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ [المنافقون: ٦٣/ ٣].
- ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا

﴿فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [المائدة: ٥/ ٤١].

- ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٢/ ٧٥].

وقال الضحاك عن ابن عباس: يعني المنافقين من اليهود، كانوا إذا لقوا أصحاب محمد ﷺ قالوا: آمنا. وقال السدي: هؤلاء أناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا .﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ أي يتأولونه على غير تأويله، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ أي: فهموه على الجلية، ومع هذا يخالفونه على بصيرة، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه من تحريف وتأويل. وقال السدي: هي التوراة حرفوها وهم يعلمون أنهم أذنبوا. وقال قتادة: هم اليهود كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ووعوه. وقال مجاهد: الذين يحرفونه والذين يكتمونه هم العلماء منهم.

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٢/ ١١٤] قد يشمل الإصابة بالأمراض العقلية والنفسية والخرف المبكر، فيتصرفون من دون وعي أو إدراك، وهو نوع من أنواع الخزي الدنيوي، والله أعلم.

- ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء: ٤/ ١٥٥].

وقولهم: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾؛ أي: في غطاء، وهذا كقول المشركين: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَـٰمِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [فصلت: ٤١/ ٥]، ومعناه أنهم ادّعوا أن قلوبهم غلف للعلم، ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾، فعلى القول الأول كأنهم يعتذرون إليه بأن قلوبهم لا تعي ما يقول لأنها في غلف وفي أكنة، وقال الله: بل هي مطبوع عليها بكفرهم ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: تمرنت قلوبهم على الكفر والطغيان وقلة الايمان(١).

(١) تفسير ابن كثير، ١/ ٧٥٠.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾﴾ [النساء: ٤/١٣٧]، أي: إن المنافقين في هذه الصفة؛ فإنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم ثم وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، بمعنى أنهم معهم في الحقيقة يوادونهم ويسرّون إليهم بالمودة ويقولون لهم إذا خلوا بهم: إنما نحن معكم إنما نحن مستهزئون، أي بالمؤمنين، في إظهارنا لهم الموافقة[1].

حالة خاصة!

وهي حالة المؤمنين الذين يُكرَهون على الكفر، كما قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل: ١٦/١٠٦]، فالمؤمنون الذين يكرهون على الكفر والتصريح به وقلوبهم مطمئنة بالإيمان ولا يشرحون صدورهم للكفر، ينطبق عليهم ما ينطبق على المؤمنين؛ لأن مراكزهم الذهنية العليا مفعمة بالإيمان وتعرف الحقائق وتؤمن بها، ولكن لا تستطيع التصريح بها للضغوط الخارجية التي قد تجبرهم على قول عكسها (ظاهرياً)، ولكن قلوبهم (مطمئنة بالإيمان)، ولكون الأصل هو القلب وما بداخله وسلامته العقائدية، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٢٦/٨٩]، ولا يمكن أن يكون اعتماده إلا قلباً واحداً فقط، قال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٣٣/٤]، فإما الإيمان أو الكفر أو النفاق، وهو الأصل في الحساب وما ينبني عليه ، لذلك يجب على المؤمن أن يزكي قلبه، ويخلص لله في عمله، ويقوي إيمانه دائماً بالتدبر والفهم والعمل بالآيات القرآنية والتوجيهات النبوية، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَـٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنبياء: ٢١/٩٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ٢٠/١١٢].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/٧٤١.

الكافرون والانتقائية في توظيفهم لمراكزهم الدماغية السمعية والبصرية!

إن الكافرين لديهم المراكز الدماغية العليا الداخلية للسمع والبصر (العقلنة) فضلاً عن وسائل السمع والبصر الخارجيين، ولكنهم لا يوظفونهما إذا كان الأمر متعلقاً بالإيمان بالله سبحانه وتعالى وحده، وباليوم الآخر والبعث والنشور، وبقية أركان الإيمان والإسلام، إذ إنهم يعرضون عنها ولا يوظفونها في هذه المراكز العليا المسؤولة عن الفهم والإدراك والاتباع والانقياد كما هو الحال عند المؤمنين، بل يقومون بتعطيلها ويضعون الحواجز أمام إدراك هذه الآيات القرآنية والكونية بإرادتهم (التي تؤدي في حالة إدخالها وفهمها والانقياد لها إلى الإيمان واليقين). وفي الوقت نفسه، فإنهم في الأمور الدنيوية البحتة والعقائدية المنحرفة التي ترضى بها أهواؤهم وتوحي بها شياطينهم من الجن والإنس فإنهم يسمعونها ويدركونها ويفهمونها جيداً، ويرضون عنها ويعملون بمقتضاها ويطبقون ما جاء فيها!.

قال تعالى:

١- ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٣٩/ ٤٥].

٢- ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء: ١٧/ ٤٦].

٣- ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾ [غافر: ٤٠/ ١٢].

٤- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ٦/ ١١٢].

فالمراكز الدماغية المركزية (العقلنة) فعّالة عند الكافرين، حالهم حال المؤمنين، ولكنهم يمارسون الانتقائية باختيارهم وبإرادتهم، فيفهمون ويدخلون

المعلومات التي يرغبون بها وبما تهوى أنفسهم، ويتغاضون وينكرون ما يصلح شؤونهم في دنياهم وآخرتهم، فأصبحوا بذلك كالأنعام بل هم أضل؛ إذ إن الله خلق هذه الحيوانات دون مراكز ذهنية دماغية (دون عقلنة) تميز وتدرك الأشياء، بتعطيلهم لتلك المراكز الذهنية (المراكز العقلية السمعية والبصرية) أصبحوا كالبهائم.

قال تعالى مؤكداً ذلك:

١- ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٤٤].

٢- ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ٧/ ١٧٩].

٣- ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: ٢/ ١٧١].

فما الذي يحصل عندهم بعد هذا التعطيل الإرادي، وقرارهم بعدم الانصياع والاتباع لنداء الفطرة والإيمان الذي غرسه الله سبحانه وتعالى بحكمته ومحبته لعباده في أدمغتهم، وخلقهم على الحنفية السمحة والتوحيد والإيمان بالله سبحانه وتعالى، وأخذ منهم العهد على ذلك؟ قال تعالى:

١- ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠/ ٣٠].

٢- ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ٧/ ١٧٢].

النتيجة لذلك أن الله سبحانه وتعالى يطبع ويختم على أفئدتهم وقلوبهم ومراكزهم الذهنية العليا (مناطق العقلنة) فتصاب بالضمور التدريجي لسبب عدم

التوظيف لها (Disuse Atrophy)، مما يؤدي إلى حدوث الخرف المبكر (Presenile Dementia) لديهم. وهذه الأمراض وغيرها من الأمراض النفسية والعقلية هي من سمات المجتمعات المادية والإلحادية، خاصة مرض الزهايمر (Alzheimer Disease) المنتشر في بلاد الغرب، ولكنه قليل الحدوث في المجتمعات والبلاد الإسلامية مقارنة بالبلاد الغربية!.

قال تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧/٢]، قال الطاهر بن عاشور في تفسيره لهذه الآية: «وليس الختم على القلوب والأسماع، ولا الغشاوة على الأبصار، كما توهمه بعض المفسرين فيما نقله ابن عطية، بل ذلك جار على طريقة المجاز بأن جعل قلوبهم، أي: عقولهم، في عدم نفوذ الإيمان والحق والإرشاد إليها، وجعل أسماعهم في استكاكها عن سماع الآيات والنذر، وجعل أعينهم في عدم الانتفاع بما ترى من المعجزات والدلائل الكونية، كأنها مختوم عليها ومغشي دونها. أما على طريقة الاستعارة تشبيه عدم حصول النفع المقصود منها بالختم والغشاوة، ثم إطلاق لفظ الختم على وجه التبعية ولفظ الغشاوة على وجه الأصلية، وكلتاهما استعارة حقيقية، لأن الشبه محقق عقلاً لا حسّاً.

والمراد بالقلوب هنا الألباب والعقول. والعرب تطلق القلب على اللحمة الصنوبرية، وتطلقه على الإدراك والعقل، ولا يكادون يطلقونه على غير ذلك... وهو المراد هنا، ومقره الدماغ لا محالة، ولكن القلب هو الذي يمده بالقوة التي بها عامل الإدراك»(١).

أما المؤمنون؛ فنظراً إلى أنهم يوظفون هذه المراكز وينعشونها بتلاوة القرآن الكريم وحفظه والذكر وغيرها من العبادات والتفكير في آلاء الله، فإنها تنتعش، وخلاياها تنشط، ويحتفظون بملكاتهم الذهنية طيلة حياتهم المباركة، وتقل عندهم نسبة الإصابات بالأمراض النفسية والعقلية، ومن أهمها الخرف المبكر (Presenile Dementia).

«قال عكرمة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ

(١) الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ص ١٤٩-١٥٠.

إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾ [الحج: ٢٢/٥] من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة!»[١].

ونختم هذا البحث وكخلاصة له، بقوله عز وجل:

١- من قالوا: ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ فذلكم المؤمنون.

٢- من قالوا: ﴿سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ فذلكم الكافرون والمنافقون.

والنتيجة بالنسبة إلى الفريق الأول (المؤمنين) قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [طه: ٢٠/١٢٣].

والنتيجة بالنسبة إلى الفريق الثاني (الكافرين والمنافقين) قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾ [طه: ٢٠/١٢٤]، صدق الله العظيم، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) تفسير الجلالين: دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ط١، ص ٣٩٩.

صفحة بيضاء
رقم 152

الفصل الخامس

الجديد في الرضاعة البشرية

- مدخل.

١- توثيق العلاقة بين الطفل والأم.

٢- تحسن معامل الذكاء والقابليات الذهنية والعقلية.

٣- الوقاية من أمراض الحساسية.

٤- الحليب البشري يحتوي على الخلايا الجذعية.

٥- الصحة تاج على رؤوس الأمهات المرضعات.

صفحة بيضاء

رقم 154

مدخل

سبق أن تناولنا هذا الموضوع الهام (الرضاعة البشرية) في عدة فصول من مؤلفاتنا، فضلاً عمّا نشرناه عنه في المجلات ووسائل الإعلام وموقعنا على الشبكة العنكبوتية. ومن أهم هذه الموضوعات التي سبق أن تطرقنا من خلالها إلى فوائد الرضاعة البشرية بصورة عامة، والأمومية منها على وجه الخصوص، هي:

١- فوائد الرضاعة الطبيعية، المبحث الخامس من كتابنا (الطب في القرآن): ص ٨٧ - ٩٢.

٢- في الرضاعة المحرِّمة ونظرة في سبب التحريم! المبحث السادس من الكتاب نفسه أعلاه: ص ٩٣- ١٠٠.

٣- في الرضاعة المحرِّمة - السبق العلمي، من كتابنا (العلوم في القرآن): ص ٥٦.

٤- الرضاعة الطبيعية (الأمومية) في الطب والتعاليم الإسلامية، من كتابنا (العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي): ص ٤٥ - ٦٠.

٥- الرضاعة المحرِّمة علاج لبعض الأمراض: نظرية في الطب الوراثي للتطبيق، مجلة الإعجاز العلمي، العدد ١٨/ جمادى الأولى ١٤٢٥ هـ، ص ٥-١٠.

٦- الرضاعة العلاجية: قضايا طبية معاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية، جمعية العلوم الطبية الإسلامية لنقابة الأطباء الأردنية، المجلد ٣، ربيع الثاني ١٤٢٧ هـ/ أيار/ مايو ٢٠٠٦م: ص ١٢٦ -١٣٨.

ومنذ ذلك الحين، ونظراً للتقدم العلمي في مجال العلوم الطبية وتقنياتها، ولتوالي الدراسات الطبية الحديثة التي أثبتت الأهمية الصحية والنفسية والبدنية والاجتماعية والاقتصادية للرضاعة البشرية والتواصل الممتد بين الأم المرضعة وطفلها، فقد استجدت أمور في غاية الأهمية بخصوص فوائد الرضاعة البشرية ودورها في الوقاية والعلاج بالنسبة إلى الطفل والأم على حد سواء، وانعكاساتها الإيجابية على الأسرة والمجتمع والأمة بصورة عامة، مما دعا المنظمات الطبية العالمية (كمنظمة الصحة العالمية WHO) ومنظمة الأمم المتحدة لرعاية الطفولة (اليونيسيف/ UNICEF)، وأكاديمية الأطفال في الولايات المتحدة (AAP)، وكذلك في أوربا وغيرها من البلدان، إلى التأكيد على الرضاعة الأمومية (الطبيعية) وتجنب الصناعية والبقرية، خاصة في الأشهر الستة الأولى من عمر الطفل الرضيع، والتأكيد على أن تكون تغذية الطفل حصرياً، في هذه المدة من الحليب البشري، من الأمهات بالدرجة الأولى، أو من المرضعات بالدرجة الثانية، أو من مصرف الحليب البشري الذي يتوافر في بعض الدول كمصدر للغذاء الطبيعي بالدرجة الثالثة، وذلك في حالة تعذر الرضاعة الأمومية. وعدم اللجوء إلى استعمال خلائط الرضاعة البقرية المنشأ إلا في حالة عدم توافر الرضاعة الأمومية والبشرية.

وتؤكد التوصيات أيضاً وجوب الاستمرار برضاعة الثدي كلما كان الحليب البشري من الأم أو غيرها متوافراً حتى العامين أو أكثر من عمر الطفل. ومن الممكن تغذية الطفل بالأغذية المناسبة وبصورة تدريجية، كمساندة للحليب البشري (وليس قطعه!) بعد الشهر السادس من عمره.

ومن أهم الأمور الطبية التي اكتشفت حديثاً في فوائد الرضاعة البشرية للطفل وللأم على حد سواء ما يأتي:

١- توثيق العلاقة بين الطفل والأم (Mother infant bonding)

فقد أثبتت الدراسات النفسية أن الطفل يشعر بالاطمئنان والسعادة وهو يرضع من صدر أمه، فينشأ محبّاً مطيعاً لها، ومستقراً نفسياً، وتتوطد العلاقة

الأسرية بينه وبين بقية أفراد أسرته (الوالدين والإخوة). وكما هو معلوم أن الأسرة هي اللبنة الأساس في المجتمع، فصلاحها من صلاحه.

وكذلك بالنسبة إلى الأم فإنها تشعر أيضاً بالغبطة وتغمرها السعادة كلما استمرت بالإرضاع؛ لأنها حققت فطرتها الإنسانية و قامت بواجبها تجاه فلذة كبدها الذي حَمَلت وحَلُمَت به وانتظرته ربما لسنوات طوال، فهي تغدق عليه من خلال إرضاعه كل العطف والمحبة والحنان، فضلاً عن الغذاء المثالي الذي يحتاجه حسب عمره ووزنه، ومما يعزز ذلك إفراز هرمون (Oxytocin) الذي يفرز من الغدة النخامية في الدماغ ويسبب إفرازه زيادة الثقة والمحبة بين الأم ورضيعها، ويسمى لذلك أيضاً (هرمون الثقة)، وينشط الغدد اللبنية في ثدييها بزيادة الإفراز للحليب (كما هو الحال في هورمون البرولاكتين المدر للحليب Prolactin)، فضلاً عن وظيفته المعروفة سابقاً بوقف النزف بعد الولادة، وإرجاع حجم الرحم وملحقاته إلى الوضع الطبيعي كلما استمرت الرضاعة مدة أطول.

ويجب حثّ الأمهات بعد ولادتهن على أهمية إرضاع أطفالهن حديثي الولادة بأسرع وقت ممكن، خاصة الدفقات الأولى من الحليب بعد الولادة التي تسمى بشائر الحليب أو اللباء (Colosturm) الذي يحتوي على نسبة عالية جداً تتجاوز ٩٠٪ من العوامل المناعية والخلايا المدافعة عن الجسم التي ثبت أنها تخترق حاجز الأمعاء للطفل الرضيع (Intestinial - blood barrier) وتمتص، وتصل إلى الدورة الدموية، وتنشط الجهاز المناعي. فقد خلق الله عز وجل أمعاء الرضيع غير مكتملة، ولها قابلية الاختراق من الأغذية الخارجية، لذلك كان من الخطورة بمكان الاعتماد على الحليب البقري ومشتقاته وخلائطه غذاءً في المراحل الأولى من عمر الرضيع؛ لأن فيها بروتينات بقرية

(Bovine Lactoalbumin , lactoglobulin) تؤثر سلباً في صحة الطفل، وتؤدي إلى نشوء أمراض الحساسية والمناعة الذاتية وغيرها، على المدى القريب والبعيد، حيث إن الجهاز المناعي للطفل الرضيع يتعامل معها كأجسام غريبة، ويفرز أجساماً مضادة لها، مما يؤدي إلى حدوث هذه الأمراض.

من أجل ذلك ولغيره فقد أوحى البارئ عز وجل إلى أم سيدنا موسى (عليه السلام) بإرضاعه أولاً، بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِۖ﴾

[القصص: ٢٨/٧]، أي: قبل أن تلقيه باليم لإنقاذه من القتل الذي أمر به فرعون لمواليد بني إسرائيل، فأوحى إليها أن ترضعه، كغذاء ووقاء، من طلائع حليبها الغني بهذه المكونات، ولتكوين الرابطة الروحية النفسية بينهما، لذلك نجد أن الباري عز وجل يقول بعدها: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ [القصص: ٢٨/١٠] من شدة تعلقها به بعد أن أرضعته، واشتياقها لرعايته وإكمال دورة رضاعته وتربيته، إذ فطر الله عز وجل الأمهات على ذلك، وفي الوقت نفسه نجد أنه لم يلتقم أو يرضع من أي ثدي أو أي مصدر آخر، ورفض ذلك بقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ [القصص: ٢٨/١٢].

ولم يهدأ ولم ينقطع عن البكاء حتى عادت والدته إلى إرضاعه، فسبحان الله العظيم!!

وهناك فائدة مهمة جداً من مغزى امتناع سيدنا موسى عليه السلام من قبول الرضاعة من صدر مرضعات غير أمه، فقد ألهمه الله ذلك وأرشده تجنباً من أن يرضع من المشركات من قوم فرعون، ويتأثر سلباً بحليبهن نفسيّاً وعضويّاً، وهو الرسول من أولي العزم الذي قال الله بحقه: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٢٠/٣٩]..

ومن جملة هذه الرعاية أن تكون تغذيته الأساسية والأولى من مصدر موثوق وسليم وصحي، لذلك نشأ معافىً في جسده ومعروفاً بقوته وشدة بأسه، وفي هذه الفائدة إشارة إلى الرضاعة الأمومية أولاً، واختيار الرضاعة البشرية (المرضعة) المعروفة خلقياً وصحياً ثانياً. وهذا ما حصل للمصطفى سيدنا محمد ﷺ عندما أرضعته حليمة السعدية من قبيلة بني سعد، وهي المعروفة بخصالها الحميدة وبيئتها الصحية الصالحة، فنشأ عليه الصلاة والسلام على أحسن ما يكون من جميع النواحي. من أجل ذلك عندما سئل عليه الصلاة والسلام عن سر فصاحته وبلاغته قال: «أنا أعربكم، أنا من قريش، ولساني لسان بني سعد بن بكر»[(١)]، فاكتسب ذلك مع الخصال الحميدة الأخرى وراثة وإرضاعاً. وإن كان سيدنا موسى عليه السلام قد قال الله عز وجل بحقه:

(١) حديث صحيح (الجامع الصغير للسيوطي).

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾، فإنه بحق الحبيب المصطفى سيدنا محمد ﷺ قد قال عز وجل: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٥٢/٤٨]، لذلك فقد هيأ الله عز وجل له كل ما يرعاه ويحفظه ويعينه ليكون رحمة للعالمين، ويقوم بالمهمة الربانية، ويكون خاتم الأنبياء والمرسلين وأفضلهم عليه أفضل الصلاة والتسليم.

٢- تحسن معامل الذكاء والقابليات الذهنية والعقلية

ثبت بالدراسات المستفيضة والمقارنة للأشخاص الذين رضعوا من أمهاتهم وأولئك الذين لم يرضعوا، أو رضعوا مدة قصيرة وأكملوا تغذيتهم بخلائط الحليب البقري المنشأ: أن معامل الذكاء (I.Q) والقابليات العقلية والذهنية تكون أفضل بكثير، وتصل إلى مستويات ذات مغزى إحصائي هام جدّاً، عند الأطفال وطلبة المدارس الذين رضعوا من أمهاتهم، وكلما كانت مدة الرضاعة أطول كان هذا المعامل الذكائي أعلى وأفضل، وربما يصل إلى عشر درجات أعلى من الفريق الذي تم تغذيته صناعياً. والسبب في ذلك أن الحليب البشري قد خلقه الله لتنمية الجهاز العصبي والخلايا الدماغية، لذلك كان غنيّاً بالمواد التي تحتاجها هذه الخلايا العصبية (Neurons) وأليافها والقشرة الدماغية وشبكية العين، ومن أهمها الأحماض الدهنية غير المشبعة (poly unsaturated fatty acids)، ومركبات (DHA or ARA , omega-3) والحامض الأميني (التاورين/ Taurain) وغيرها من المواد التي تدخل في تكوين الجهاز العصبي وعمله، وهذه المواد غير موجودة نهائيّاً، أو هي بكميات قليلة جداً في الحليب البقري، وخلائط الرضع المصنعة الغنية ببروتين الكازين (Casein) الذي ينمي خلايا العضلات، وليس خلايا الدماغ، لذلك نجد أن العجول يتضاعف وزنها في نهاية الشهر الأول من عمرها؛ لأن الله عز وجل خلقها مصدراً غذائياً للناس، أما الطفل فيتضاعف وزنه بعد أربعة أشهر من ولادته؛ لأن حليب أمه موجه لنموه وتغذيته بصورة عامة، ولجهازه العصبي بصورة خاصة، ودماغه على وجه أكثر من الخصوص، لذلك كانت نسبة البروتين في حليب الأمهات أقل منها في البقر، وعلى العكس، فنسبة العوامل المسؤولة عن تنمية الجهاز العصبي

وتكوّنه أعلى بكثير، وربما تصل إلى خمسين ضعفاً في الحليب البشري مقارنة بالحليب البقري!.

لذلك نصل إلى نتيجة هامة جداً وهي الخطيئة الكبيرة التي ترتكبها الأمهات من عدم إرضاعهن لأولادهن إذا أخذنا هذه الناحية فقط، وما قولك بالأمور والفوائد العديدة الأخرى للرضاعة الأمومية؟

ومن الجدير بالذكر أن الشركات المصنعة لخلائط الرضع البقرية وبعد هذا الاكتشاف الهام أخذت تقلد الحليب البشري وتضيف هذه المواد المسؤولة عن تكوين الخلايا العصبية وتنميتها إلى خلائطها في محاولة للتوصل إلى التركيب نفسه للحليب البشري، حتى لو كان ذلك صحيحاً فما بالك بالفوائد العديدة الأخرى؟ فمهما حاولت هذه الشركات تقليد الحليب البشري فلن يستطيعوا ذلك، وتبقى محاولاتهم محدودة الفائدة!! قال تعالى: ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢/ ٦١].

٣- الوقاية من أمراض الحساسية

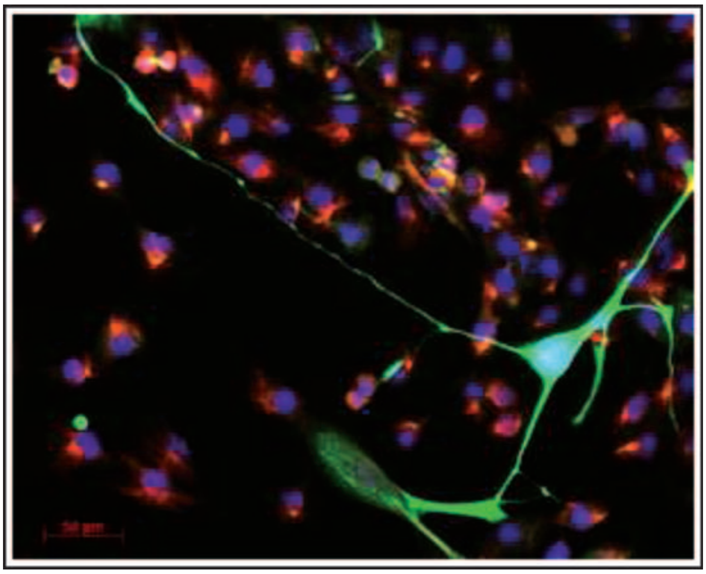
توصلت الأبحاث الطبية المتعددة، وفي مختلف أنحاء العالم، إلى أن الرضاعة البشرية تقي الطفل من أمراض الحساسية (الربو والأكزما وحساسية المجاري التنفسية العليا والربو القصبي) التي يصاب بها الأطفال، خاصة الذين يتغذون على الحليب الصناعي (رضاعة القنينة) وكذلك من أمراض المناعة الذاتية والذئبة الحمراء (SLE) والتهاب المفاصل الروماتيزم التهاب للأمعاء والقولون التقيحي، ومرض التصلب الصفائحي المنتشر (M.S)، والأهم أن الرضاعة البشرية تقلل من الإصابة بداء السكر بنوعيه؛ المعتمد وغير المعتمد على الأنسولين من خلال عدة طرائق، ومن أهمها تقليل الوزن لدى الطفل الرضيع مع والدته. حتى الأم المصابة بالسكر فإن حاجتها إلى العلاج تقل عند إرضاعها لطفلها، وقد وجد أن كل رضاعة سنة تقلل من احتمال إصابة الأم المرضعة بداء السكر بنسبة ١٥٪ لمدة ١٥ سنة القادمة من عمرها. ومن المعروف طبيّاً أن الأطفال الذين يتغذون بالحليب البقري المنشأ يتعرضون للإصابة بداء

السكر المعتمد على الأنسولين بنسب عالية في أثناء طفولتهم، وكذلك بداء السكر من النمط الثاني عند بلوغهم؛ بسبب تسرب بعض البروتينات البقرية في أثناء فترة الرضاعة من خلال اختراقها حاجز الجهاز الهضمي الدموي، وتحفيزها للجهاز المناعي لكونها مواد غريبة غير مألوفة له، تحفزه لإنتاج أجسام مضادة تؤدي إلى تخريب خلايا البنكرياس المنتجة للأنسولين(B-Langerhans cells). وكذلك تزيد الرضاعة البقرية لدى الأطفال عدد الخلايا الدهنية وحجمها في أنسجة الجسم، فيصاب الطفل بالسمنة، مما يؤدي إلى استعداده الكبير لإصابته بداء السكر من النمط الثاني، وبعد بلوغه، لذلك نجد أن الرضاعة (رضاعة القنينة) تؤدي إلى هذه الأمراض بصورة كبيرة وبطرائق متعددة، في حين تقي وتحمي الرضاعة البشرية من جميع هذه الأمراض على المدى القريب والبعيد. فكم خسرت البشرية من إعراضها عن الرضاعة البشرية الفطرية التي أمر الله بها في محكم كتابه العزيز؟ قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٣٣].

٤- الحليب البشري يحتوي على الخلايا الجذعية

والاكتشاف المذهل والخطير الذي توصل إليه الطب حديثاً هو العثور على الخلايا الجذعية (Stem Cell) في الحليب البشري؛ إذ يُعَدُّ ذلك اكتشافاً ثورياً واختراقاً علمياً خطيراً في المجالات الطبية العلاجية في حلقة الأبحاث المعنية بالخلايا الجذعية؛ إذ بإمكان هذه الخلايا - كما هو معلوم - بناء أنسجة الجسم وخلاياه وإصلاحها وتجديدها. وتشير الدراسات التي قام بها الدكتور مارك كريكان (Mark Cregan) من جامعة أستراليا الغربية مدينة بيرث، الذي يقود فريقاً طبياً بحثياً متخصصاً بعزل هذه الخلايا الجذعية من الحليب البشري، ودراسة خواصها وقابلياتها، تشير إلى أن هذه الخلايا التي تتكون في الغدد الثديية للأم والمكونة للبن الرضاعي، هي امتداد لعمل الخلايا الجذعية من المشيمة (المسؤولة عن الإمداد الدموي والغذائي للجنين في فترة الحمل)، وهي تسلم وظيفتها بعد الولادة للغدد الثديية المكونة للبن الرضاعة لإكمال تميزه الجيني، فالرضاعة البشرية تكمِّل ما بدأت به المشيمة والتميز النسيجي، ومن

تقدير الله عز وجل أن جعل الجهاز الهضمي للطفل الرضيع مهيأ ليسمح بمرور هذه الخلايا الجذعية وغيرها من الخلايا المناعية قبل انغلاق الحاجز المعوي الدموي، مما يساعد على نمو جسمه وبنائه وتوجيهه وتطويره في الوقت نفسه من خلال المنظومة الجينية والمناعية للطفل (انظر الشكل أدناه).



صورة تبين الخلايا الجذعية في الحليب البشري (اللون الأزرق والأحمر)

لعل في اكتشاف وجود هذه الخلايا في لبن الأمهات، وما يمثله دورها الخلوي في نظام "بناء وإصلاح وتجديد وتطور" الصفات المظهرية (phenotype) للمولود حتى يصل إلى مرحلة البلوغ، تلمس بعض الحكمة من التشابه الخلوي والنسيجي والعضوي والنفسي، الحادث بين مَن يرضعون مِن مرضعة واحدة، وقد قال ﷺ: «لا تسترضعوا الحمقاء فإن اللبن يورث»(١)، وقال سيدنا علي بن أبي طالب: (الرضاع يغير الطباع).

وإذا ما ثبت اختراق الخلايا الجذعية للحاجز الهضمي الدموي في أمعاء الطفل الرضيع فإن ذلك سيكون له تطبيقات طبية في غاية الأهمية لمنفعة البشرية، للوقاية والعلاج من بعض الأمراض، خاصة الوراثية منها، التي تطرقنا

(١) رواه الطبراني في الصغير والبزار..

إليها في أبحاثنا السابقة والمشار إليها في مدخل هذا الفصل، فضلاً عن إمكانية الإفادة منها بعزلها من الحليب البشري وتنميتها واستعمالها لعلاج بقية الأمراض المزمنة والمستعصية، كإصابات النخاع الشوكي ومرض الزهايمر وداء السكر وغيرها، كما هو الحال في استعمال الخلايا الجذعية المستخلصة من دم الحبل السري أو الأجنة، ولكن هنا فرقاً مهماً وخطيراً هو سهولة الحصول عليها وعدم وجود المانع الأخلاقي أو الديني الناتج من تحصيل الخلايا الجذعية من الأجنة، حيث يعارض بعض الناس ذلك، لكونه يؤدي إلى إتلاف بعض الأجنة للحصول على هذه الخلايا.

والفائدة الأخرى هي إمكانية إعطائها عن طريق الفم بدلاً من المنفذ الوريدي، ولا يحتاج المريض المعالج أدوية تثبيط الجهاز المناعي التي تسبق أو تلي إعطاء هذه الخلايا، ويجتنب بذلك مضاعفات هذه الأدوية الخطيرة.

وبالطبع، إن تطبيق هذه الطريقة باستعمال الخلايا الجذعية المستخلصة من حليب الأم يحتاج إلى أبحاث مستفيضة جداً للتأكد من عملها وفعاليتها، ويبقى السؤال الشرعي عن استعمالها بصفتها جزءاً مستخلصاً من الحليب، وليس كل الحليب:

هل ينطبق عليها قاعدة الرضاعة المحرِّمة أم لا؟ إذ إنها جزء من الحليب وليس كله. نترك ذلك للعلماء الفقهاء المتخصصين!

٥- الصحة تاج على رؤوس الأمهات المرضعات

كما أن الجنَّة تحت أقدام الأمهات، فإن الصحة تاج على رؤوس المرضعات منهن!!.

فمن فوائد الرضاعة البشرية أنها تشكل عاملاً هامّاً يقلل من الإصابة بسرطان الثدي والمبيض والرحم للمرضعات، وكلما زادت مدة الرضاعة وعدد الإنجاب للأطفال عندهن، انخفضت نسبة الإصابة بهذه الأنواع من السرطانات لديهن مقارنة بالنساء غير المرضعات أو غير المنجبات أو غير المتزوجات (العوانس).

فالإنجاب والإرضاع يشكلان عاملين حيويين للوقاية من الإصابة بالأورام والسرطان. وهذا ما أثبتته الدراسات الطبية الحديثة والمتعددة.

كما أن الرضاعة الطبيعية تساهم في التخلص من مخزون الطاقة الزائد، والشحم المتراكم أثناء الحمل، والسمنة المفرطة لدى الأمهات المرضعات. حيث وجد فريق من الباحثين بالمركز الطبي لمستشفى أطفال "سينسيناتي وجامعة سينسيناتي" بأوهايو بالولايات المتحدة أن هنالك علاقة بين احتواء حليب الأم على مستويات عالية من البروتينات التي تنتجها الخلايا الدهنية والمسؤولة عن تنظيم عملية الأيض في الجسم، والمعروفة باسم (أديبونكتين/ Adeponictin) وبين الإصابة بالسمنة، حيث تقوم الخلايا الدهنية بإفراز هذا النوع من البروتينات التي تؤثر في كيفية معالجة الجسم للمواد السكرية والدهنية في الدم، كما أن هنالك علاقة بين انخفاض مستوى هذا البروتين والإصابة بالسمنة المفرطة، إضافة إلى النوع الثاني من مرض السكري ومقاومة الأنسولين وأمراض الشرايين التاجية.

واكتشف الباحثون أيضاً أن هنالك نوعاً آخر من البروتينات في لبن الأم يسمى (ليبتين/ Lipetin) يساعد أيضاً على تنظيم الدهون في الجسم. ويشير الاختصاصيون إلى أن خطر الإصابة بالسمنة المفرطة يقل مع زيادة مدة الرضاعة الطبيعية، "فهنالك تأثير تراكمي، إذ إنه كلما طالت مدة تناول حليب الأم انخفضت السمنة".

وفي دراسة طبية مثيرة وهامة أجريت في الولايات المتحدة[1]، وشملت ١٣٩٦٨١ امرأة انقطع عنهن الطمث، انتهت الدراسة إلى أن النساء اللواتي أرضعن أولادهن مدة شهر على الأقل، يعانين ضغط دم منخفضاً، ونسبة كوليسترول أقل، واحتمالاً أقل بالإصابة بالسكري، كما تنخفض لديهن احتمالات الإصابة بالأمراض القلبية والوعائية، مقارنة باللواتي لم يرضعن أطفالهن طبيعيّاً.

---

(١) نشرت في عدد شهر أيار/ مايو ٢٠٠٩ في المجلة الطبية للنسائية والتوليد "Obstetrics & Gynecology".

وقالت اليانور بيملا شفارتس من جامعة بيتسبرغ (بنسلفانيا) في الولايات المتحدة الأمريكية المشرفة الرئيسة على الدراسة: "إن النساء اللواتي أرضعن أطفالهن لمدة سنة ينخفض احتمال إصابتهن بأمراض قلبية بنسبة ١٠٪"، مشيرة إلى أنه كلما أرضعت الأم طفلها لمدة أطول، كان ذلك مفيداً لها وللطفل، وقالت أيضاً: "إن هذه الدراسة تعدُّ سبباً لتشجيع النساء على الرضاعة الطبيعية سواء كن في مؤسسات أم أماكن العمل الأخرى". وأشارت الطبيبة إلى أن الآثار الإيجابية للرضاعة للمرأة طويلة الأمد، إذ إن المشاركات في الدراسة أرضعن أولادهن قبل **٣٥** عاماً وبمعدل متوسط.

هذا غيض من فيض عن فوائد الرضاعة البشرية بالنسبة إلى الطفل والأم على حد سواء، وإننا على يقين أن الطب سيكتشف الجديد من هذه الفوائد مستقبلاً، كلما تقدمت وسائل المعرفة والتقنيات في هذا المجال. وبذلك يعودون إلى التعاليم الإسلامية بخصوص أهمية الرضاعة البشرية، ولكن بعد تجارب مريرة وآثار مدمرة ناتجة عن استعمال الرضاعة البقرية الصناعية! بدلاً عن البشرية منها! والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، والحمد لله رب العالمين.

أهم المصادر والمراجع

(١) إبراهيم النعمة: قبسات من الحكمة النبوية في الدعوة إلى الله، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل، ط٢، ١٩٨٥م.

(٢) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار الجيل، بيروت،ط١، ١٩٨٨م.

(٣) أبو زكريا الفراء: معاني القرآن، تحقيق ومراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.

(٤) أنور الجندي: شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٨م.

(٥) بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن، الحلبي، القاهرة، ط٢.

(٦) البوصيري: الدرر السنية- إتحاف الخيرة المهرة، (موقع على الشبكة العنكبوتية).

(٧) حامد أحمد حامد: رحلة الإيمان في جسم الإنسان، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩١م.

(٨) حيدر المؤمن: كهف الرجيب في عمان، مجلة منار الإسلام، العدد٦، ١٩٩٩ م، ص٣٨-٤٣.

(٩) طه العلواني: الجمع بين القراءتين؛ قراءة الوحي وقراءة الكون، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، باريس، ١٩٩٤م.

(١٠) سعيد النورسي بديع الزمان: قبسات من كليات رسائل النور- المقام الثاني من الكلمة العشرين ومن تفسيره باللغة العربية- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤م.

(١١) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني في القاهرة، ١٩٦٧م.

(١٢) سيد قطب: في ظلال القرآن، الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٤، ١٩٦٨م.

(١٣) الفخر الرازي: التفسير الكبير ، مؤسسة المطبوعات الإسلامية، القاهرة ، ط١، د.ت.

(١٤) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكاتب العربي، القاهرةط١، ١٩٦٧م.

(١٥) رفيق رجا الدجاني: اكتشاف كهف أهل الكهف، مديرية الآثار في المملكة الأردنية الهاشمية، عمَّان، ١٩٦٣م.

(١٦) عبد الله العمراني: النيام السبعة وأصحاب الكهف، مجلة العربي، العدد ٢١٦، ص٣٣-٣٥، تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٦م.

(١٧) عبد المجيد الزنداني وزملاؤه: تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، من أبحاث المؤتمر الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية في إسلام آباد، باكستان، مطبعة رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٩٨٧م.

(١٨) عماد الدين خليل: مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل، ط٢، ١٩٨٥م.

(١٩) عماد الدين خليل: تهافت العلمانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٧٥م.

(٢٠) محمد تيسير ظبيان: أهل الكهف وظهور المعجزة القرآنية الكبرى، دار الاعتصام، القاهرة، ط١، ١٩٧٨م.

(٢١) محمد تيسير ظبيان: هل هذا هو الكهف الذي تحدث عنه القرآن؟، مجلة الوعي الإسلامي العدد ٤٧، السنة الرابعة، ١٩٩٦م.

(٢٢) محمد قطب: رؤيا إسلامية لأحوال العالم المعاصر، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٩٩١م.

(٢٣) محمد جميل الحبال ووميض العمري: الطب في القرآن، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

(٢٤) محمد جميل الحبال ومقداد الجواري: العلوم في القرآن، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

(٢٥) محمد جميل الحبال: العلوم المعاصرة في خدمة الداعية الإسلامي (مطابقة الحقائق العلمية للآيات القرآنية)، مكتبة دار المنهاج القويم، دمشق، ٢٠٠٦م.

(٢٦) محمد سليمان الأشقر: زبدة التفسير من فتح القدير، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٤٠٥ هـ.

(٢٧) محمود العبادي: الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن، المطبعة التعاونية، عمان، ط١، ١٩٧٣م.

(٢٨) محمود شلبي: حياة أصحاب الكهف، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

(٢٩) مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٧م.